

سلسلة العلم والمعرفة للشباب

الله سبحانه

إنكار الكافرين دليل وجوده

مختـــارات
فضيلة الشيخ
محمد متولى الشعراوى

الطبعة الأولى
١٤٠٤ هـ ـــ ١٩٨٤ م

بسم الله الرحمن الرحيم



الله سبحـانه . .
إنكار الكافرين دليل وجوده

الذين يكفرون بالله وينكرون وجوده . . هم فى الحقيقة يثبتون أن ا لله سبحانه وتعالى موجود . . ذلك أن قولهم بأن الطبيعة هى منشأ الأشياء . . ومحاولاتهم انكار وجود ا لله سبحانه وتعالى . . تعنى أنهم يحاولون انكار شىء موجود . . اذ أن الشىء غير الموجود لا يحتاج الى أى جدل . . أو انكار . . ولا يكون موضع سؤال . . فكيف يطرح على العقل انكار شىء غير موجود . . مادام هذا الوجود أصلا غير حقيقى . . ان الجدل يحدث عادة حول شىء موجود . . فهذا يؤكده . . وذاك ينكره . . ومن هنا جاء الجدل . . والجدل الذى يثيره الكافرون حول هذا الموضوع . . اساسه شعورهم بالفطرة . . بأن الله موجود . . ثم محاولتهم انكار ذلك باستخدام الهوى والاغراض الشخصية . . لأنهم يريدون أن يخضعوا شريعة الله لأهوائهم . . فمثلا الجدل الذى يثار حول : هل الارض كروية . . أو الارض مسطحة . . اساسه اننا نرى امامنا الارض مسطحة . . ثم يأتى العلماء بعد ذلك ليقولوا إن الأرض كروية . . وينفى بعض الناس هذه الحقيقة . . اذن فالجدل هنا نتج عن ان الشىء نفسه موجود . . وان هناك حقيقة تعرفها اذهاننا . . فالأرض موجودة . . وعيوننا تراها مسطحة . . ولكن لو لم تكن الأرض موجودة اصلا . . لما نشأ الجدل أبدا عن : هل الارض كروية ام مسطحة . . اى ان الأصل فى انكار الشىء هو وجوده أولا . . فوجود الارض ذاتها . . ثم وجودها امامنا منبسطة . . بدأ معه انكار كروية

الارض . . وكانت نقطة البداية . . فلو أن امرأة مثلا ليس لها أطفال . . لا تجد انسانا يقول لك إن هذه المرأة عندها أطفال . . وآخر يقول لك لا . . ويثور جدل حول هذا الموضوع . . ذلك أن أحدا لا يدخل فى جدل . . عن شىء غير موجود . . ولكن هب أن هذه المرأة لها طفل . . وتخفيه عن عيون الناس . . بعض الناس رأوه . . وبعض الناس لم يروه . . هنا يبدأ الجدل هذا يؤكد . . وهذا ينفى . .

اذن الأصل فى حدوث جدل حول شىء هو وجوده أولا . . والأصل فى محاولة الكافرين انكار الألوهية . . وانكار وجود الله وهو احساس بأن الله موجود . . وأن هذه حقيقة واقعية . . وهم يحاولون نفيها . . لأنها لا تصادف أهواءهم . . والعجيب أنهم فى محاولتهم لهذا النفى أو الانكار لا ينتبهون الى أشياء تكذبهم . . فمثلا اسم الله تجده فى كل لغة من لغات العالم . . بل إن الاسم . . اسم الله سبحانه وتعالى فى جميع اللغات له معنى واحد . . وهو الله خالق هذا الكون . . وخالق الانسان . . وخالق كل شىء فمن الذى أوجد هذا المعنى الموحد لهذه الكلمة فى كل الدنيا . . وبجميع اللغات التى ينطق بها أى بشر . . وكيف يمكن أن يحدث ذلك وهناك من ينكرون وجود الله سبحانه وتعالى « سنريهم آياتنا فى الآفاق . . وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق » . . أى آيات تلك التى يتحدث عنها الله سبحانه وتعالى . . ان لم يكن هو الذى خلقها باتقان واعجاز . . لا يملك البشر أمامه إلا أن يسجدوا لقدرة الله سبحانه وتعالى فى كونه . . وفى خلقه .

اذن هذا التحدى فى التدبر فى آيات الكون . . والتدبر فى الخلق . . والتدبر فى أنفسنا . . لا يمكن أن يحدث إلا اذا كان القائل هو

الخالق . . هو الذى وضع آيات . . ومعجزات فى هذا الكون . . فما الذى يريدنا الله أن نتدبره إلا آياته فى الكون . . واذا لم يكن الله سبحانه وتعالى خالق هذا الكون . . فكيف يعرف اسراره كلها . . ويعلم ان فيها آيات ومعجزات . . ان الذى خلق . . هو الذى قال . . هو الذى أعجز . . سبحانه وتعالى . . ومن هنا فهو يطلب منا أن نتدبر . . لنرى من الآيات ما يجعلنا نسجد لعظمة الله سبحانه وتعالى وقدرته . .

نأتى بعد ذلك الى نقطة أخرى . . الله سبحانه وتعالى أخبرنا فى قرآنه الكريم انه سخر كل ما فى هذا الكون لخدمة الانسان . . تعالوا نتدبر قليلا فى هذه الحقيقة الهامة . . كل ما فى الكون يخدم الانسان . . الحيوان . . والجماد . . والشمس . . والقمر . . والنبات . . كلها تخدم الانسان . .

والانسان ليس هو الكائن الوحيد الحى فى هذا الكون . . فالنبات له حياة . . والحيوان له حياة . . والانسان له حياة . . ولكن كل منها تختلف عن الأخرى .

تعالوا نتدبر فى خلق الله . . الله سبحانه وتعالى جعل كلى شئ مسخرا لما فوقه . . الجماد مثلا بكل صوره مسخر لخدمة ما فوقه من الخلق . . وهو النبات والحيوان والانسان . . على أن التمييز . تمييز الخالق . . وليس تمييز المخلوق . . بمعنى ان الله سبحانه وتعالى هو الذى سخر . . ولكن الانسان بقدرته . . وعقله . . وقوته . . عاجز عن أن يسخر . . والدليل على ذلك أن هناك أشياء مسخرة للانسان . . والحيوان . . والنبات . . أقوى منه ملايين المرات . . ولا يستطيع أن

يوجدها . . أو أن يسيطر عليها . . الشمس والنجوم . . والكواكب . . والأرض . . مسخرة لخدمة النبات . . والحيوان . . والانسان . . الشمس لا تستطيع أن تقول إننى سأشرق هذا اليوم على جزء من هذا الزرع لأعطيه الحياة والنمو . . ولن أشرق على جزء آخر ليموت . . فالشمس بقدرتها الهائلة . . وقوتها التى لا يستطيع أن يقترب منها العالم أجمع . . مسخرة لخدمة النبات . . تشرق عليه . . وتعطيه الحياة والنمو . . وتغرب عنه . . ليتم دورته . . وهكذا . . وهى فى هذا لا إختيار لها . . وكذلك الرياح . . والأمطار والأرض نفسها . . كلها مسخرة لخدمة النبات والحيوان والإنسان .. والأرض إذا وضعت فيها الحب لا تستطيع أن تقول لن أعمل على إنماء هذا الحب وتغذيته .. ولكننى سأغذى هذا الحب .. وكذلك المطر لا يستطيع أن يقول سأنزل هنا اليوم . . ولن أنزل غدا . . أو لن انزل فى العام القادم . . كل هذه الأشياء مسخرة ليس لها أى اختيار . . وهى تعطى عطاء متساويا للجميع بلا تمييز . . لأن الله سبحانه وتعالى هو الذى سخرها . . وهو الذى جعلها فى خدمة أنواع الحياة التى هى أرقى منها . . كالنبات . . والحيوان . . والانسان . . وليعلن للعالم أجمع أن هذه الأشياء هى مسخرة بقدرته سبحانه وتعالى . . وبعلمه . . وبكلمة كن . . جعلها أقوى من الانسان . . والحيوان . . والنبات . . ملايين المرات . . ومع ذلك هى فى خدمتهم جميعا . . لا تستطيع يوما واحدا أن تمتنع أو ترفض أن تقوم بخدمتهم رغم قدرتها . . وضعف من تخدمهم من البشر . . والنبات والحيوان .

هذه واحدة . . فاذا انتقلنا الى النبات . . نجد أنه مسخر لخدمة من فوقه فى الخلق . . وهما الحيوان والانسان . . والحيوان يستطيع أن

يأكل من النبات كما يريد ويحطمه كما يريد . . ولا يستطيع النبات ان يمنعه من ذلك أو يقول له لا . . لن أعطيك طعاما اليوم . . سأمنعه عنك . . أو يبعده عنه . . اذا أراد به ضرا . . وكذلك بالنسبة للانسان . . فان النبات مسخر لخدمته . . عطاء له عندما يريد . . لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا أمام ارادة البشر . . حتى فى اهلاكه وافساده . . اذن فالنبات مسخر لخدمة ما فوقه . . لا يستطيع له نفعا ولا ضرا . . وانما يعطيه عطاء بلا حساب . . ويكون فى خدمته دائما كلما أراد . . حتى اذا اراد له هلاكا . . فالصبى قد يأتى بفأس أو منشار . . ويصل الى شجرة ضخمة هائلة . . ويظل يقطع فيها عدة أيام حتى تسقط . . ولكن الشجرة رغم ضخامتها وقوتها . . حتى انه اذا سقط غصن منها على هذا الصبى أهلكه . . بل اذا سقط غصن منها على رجل أهلكه . . واذا سقطت الشجرة نفسها على عدة رجال أقوياء أهلكتهم . . رغم أن هذه الشجرة تملك هذه القدرة الهائلة على البشر . . فانها لا تستطيع أن تأمر غصنا منها ليسقط . . فيهلك صبيا أو رجلا يقطعها بفأس أو منشار . . ولا تستطيع أن تأمر جذعها أن يسقط على رجال يقومون باقتلاعها من جذورها . . ومن هنا فهى تملك القوة . . ولكنها لا تملك القدرة . . لماذا ؟ . . لأنها مسخرة لخدمة الانسان والحيوان . . رغم قوتها الهائلة . . وقدرتها على التدمير . . إلا انها تقف عاجزة تماما أمام الانسان . . **لماذا ؟ . . لأن التسخير هنا من الله سبحانه وتعالى ومن هنا فلا القوة لها قيمة . . ولا القدرة لها قيمة . . وإنما الأمر جميعا للقائل . . وهو الله سبحانه وتعالى . . والقائل هنا سخرها للإنسان . . فهى مسخرة له . .**

اذا انتقلنا بعد ذلك الى الحيوان . . نجد أنه ارقى حياة من النبات . . فقد منحه الله الحواس . . ومنحه قدرة على الحركة . . ومن

هنا فهو أعلى خلقا من النبات . . ومن الجماد . . وكل خلق تحته مسخر له . . لخدمته . . ولكن الحيوان نفسه مسخر لخدمة الانسان . . وقد يكون الفرس . . أو الجاموسة . . أو الثور . . أو الجمل . . أو أى حيوان آخر يملك من القدرة والقوة ما يستطيع أن يحطم به أقوى رجل فى العالم ويهلكه . . ومع ذلك . . فان صبيا صغيرا يستطيع أن يقود الجمل . . أو الفرس . . أو الثور . . الى حيث يريد . . وهو طائع له . . لا يستطيع أن يعصيه . . اذا تدبرنا فى ذلك . . فان العقل يقول مادام الحيوان هو الأقوى . . فهو الذى يتحكم ويفرض ما يريد . . ولكن الله سبحانه وتعالى الذى أراد ذلك سخر الحيوان القوى فجعله ضعيفا ذليلا أمام الانسان الذى يقل عنه قوة وقدرة . .

اذا انتقلنا بعد ذلك الى الانسان . . فهو حياة أرقى من النبات . . والحيوان . . لماذا ؟ . . لأن له فكرا . . له عقلا . . وله اختيارات . . ومن هنا فهو أرقى ما خلق الله فى الدنيا . . رغم قدرة الشمس . . وقوة الريح . . وجبروت الامطار . . وضخامة النبات . . والقدرة البدنية للحيوان . . فان هذا الانسان أرقى هؤلاء جميعا . . وكل هذه الأشياء مسخرة لخدمته . . بارادة الله . . وليس بارادة الانسان . .

فاذا كانت مخلوقات الدنيا هى : الجماد والنبات . . والحيوان . . والانسان . . وكل خلق منها يعلو على الآخر . . فيكون مسخرا له . . وهذا لا يتوقف على القوة . . ولا على الحجم . . وانما على ارادة الله . . الجماد يخضع للمخلوقات الارقى منه . . وهى النبات والحيوان والانسان . . والنبات يخضع لمن فوقه . . وهما الحيوان والانسان . . والحيوان . . يخضع لمن فوقه وهو الانسان . . فلمن يخضع الانسان . .

يخضع لخالقه . . يخضع لله سبحانه وتعالى ليكون هناك انسجام فى الكون . . كل شئ يخضع لما فوقه . . ومن هنا يقول الله سبحانه وتعالى « ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا » .

ومن هنا كان هدف الانسان ان يخضع لخالقه الذى سخر له كل ما فى الكون . . وهذا هو الذى يعطى الحياة معناها الحقيقى . . لأن كل شئ يخضع لما فوقه .

ونحن حين نتدبر فى الكون نرى كيف أن الانسان يجب أن يخضع لخالقه . . ليتم الانسجام فى الكون . . وعلامة الخضوع هى العبادة . وهذا هو هدف العقل الأول فى أن يعرف ماذا يجب أن يؤدى وأن يتدبر فى الكون ليعرف أن كل شئ يجب أن يخضع لما فوقه . . وان الانسان يجب ان يخضع لخالقه . . الذى خلق هذا الكون كله . . وسخره لخدمته .

ولكن العقل البشرى ينسى الله . . وينسى كل هذه المعجزات . . ويتحدث عن العلم . . وعصر العلم . . فماذا استطاع العلم أن يحقق للبشر ؟

العلم لا يستطيع ان يخلق مقومات الحياة . . فما بالك بالحياة نفسها . . ان الانسان عاجز عن أن يخلق غلافا جويا للقمر مثلا . . أو بحيرة بالماء اللازم للحياة . . والزرع . . أو ان يجعل حبة تنبت على يدك . . بدلا من أن تنبت على الأرض . . والقرآن الكريم يقول لنا إن هناك مضلين . . سيأتون ليجادلوا فى خلق الانسان .

ان العلم يتحدد فى شيئين رئيسيين . . علم مادى يخضع للتجربة

البحتة . . لا يدخل فيه هوى البشر . . ذلك العلم هو الذى يتناول المادة فقط . . وهو الذى يمكن أن يفحص فى المعمل . . وتجرى عليه التجارب . . وليس فيه هوى النفس البشرية . . وهذا العلم هو الذى اتاحه الله للعقل البشرى . . وطلب منه أن يجتهد فيه . . ووعد الله بأن يكشف آياته فى الكون لأولئك الذين يعملون . . ويبحثون . . ويجرون التجارب . . ويجتهدون . . وعلم آخر هو علم تدخل فيه الأهواء . . وذلك ما لم يدخل فيه معمل . . ولا يمكن اجراء تجارب عليه . . وهذا العلم مثل النظريات الفلسفية والسياسية . . وكل شىء لا يخضع لتجربة المعمل . . هذا العلم تختلف فيه الاهواء وتتصارع . . وسيظل الصراع بينها الى يوم القيامة . . لأن هذا العلم لا يستند على أسس مادية موضوعية بحتة . . وانما تدخل فيه الاهواء الشخصية .

النوع الأول من العلم . . صاحبه يظل يعانى حتى يصل الى هدفه . . فاذا وصل الى الهدف استفاد منه الناس كلهم . . فالعالم مثلا الذى يجرى تجارب فى معمله . . على اختراع جديد . . أو شىء جديد . . يظل يسهر ليالى طويلة حتى يصل الى نتائج . . فاذا وصل الى نتائج . . استفادت منها البشرية كلها . . واذا أردنا أن نضرب مثلا لذلك . . فهناك مثلا اكتشاف الكهرباء . واختراع الراديو والتلفزيون . . والتلفون . . إلى آخر هذه الأشياء التى اقتضت بحثا من أصحابها . . فإذا وصل البحث إلى نتيجة . . استفادت منها البشرية كلها .

أما النوع الثانى من العلم . . فهو الذى يخضع للهوى . . فان صاحبه هو الذى يستفيد . . وغيره يعانى . . ذلك أنه يضع العلم على هواه . . وعلى أساس ما يرضيه هو . . ومن هنا فان صاحب النظرية

الفلسفية أو السياسية . . لا يعانى شيئا بقدر ما يعانى أولئك الذين يخضعون لها . . أو ينفذونها . .

فماذا قدم العلم للبشرية . . تعالوا نناقش ذلك من واقع التجربة العلمية . . ان أساس الحياة البشرية من خلق الله سبحانه وتعالى لم يتغير . . ولم يتبدل . . ولا يستطيع العلم أن يجد له بديلا . . وانما العلم يقدم الرفاهية للبشر . . أى أنه يجعل الحياة أكثر سهولة . . وأكثر نعومة . . ولكنه لا يعطينا مقومات الحياة . . بل ان الله سبحانه وتعالى علما منه بظلم الانسان للانسان . . جعل مقومات الحياة فى يده . . وما أعطاه منها ليد البشر أعطاه بشكل لا يجعل الانسان قادرا على هلاك الانسان باستخدام أسباب الخلق .

ولنشرح هذه النقطة قليلا . . مقومات الحياة من كرة أرضية . . وشموس . . ونظام كونى لا دخل للانسان فيه . . ولا يستطيع . . ولن يستطيع الانسان بعلمه أن يتدخل ليخلق كرة أرضية جديدة . . أو شمسا جديدة أو نجوما جديدة أو سماوات جديدة . . الى آخر هذا . . هذا خلق الله . . والعلم اذا استطاع ان يكتشف الآيات فى هذا الخلق . . يكون قد تقدم تقدما هائلا . . ولكنه لن يستطيع أن يخلق شيئا . أو يبدله . . أو يغيره . . واذا كنا نتحدث الآن . . ونحن فى عصر العلم . . فتلك حقيقة هامة . لا يستطيع أحد الجدال فيها .

نأتى بعد ذلك الى مقومات الحياة على الأرض . . الهواء . . **والماء . . والطعام . . لوازم ثلاثة لحياة الإنسان على الأرض . . الإنسان بطبعه لا يستطيع العيش بدون الهواء اكثر من دقيقة أو دقائق . . ولذلك**

أخرج الله الهواء من قدرة البشر على التحكم فى البشر . . فالله شاء أن يكون الهواء مباحا للناس . . جميعا . . لا يستطيع واحد أن يمنعه عن مجموعة من الناس فتهلك . . بل انه أخضع الهواء لعدله . . فكان متساويا بين الناس جميعا . . فقيرهم وغنيهم . . عظيمهم وذلك الذى لا يملك من أسباب الدنيا شيئا . . فهم جميعا يتنفسون بنفس السهولة . . وبنفس الطريقة دون أى عناء . . يصلهم الهواء الى حيث هم واينما كانوا فى حجرات مغلقة . . أو فى الطريق . . أو فى السيارة . . أو فى أى مكان فى العالم . . فان الهواء يصلهم سهلا . . ميسرا . . متاحا . . للجميع . . وهذا عدل الله سبحانه وتعالى . . ولا دخل لبشر فيه . .

نأتى بعد ذلك الى الماء . . وهو ما يستطيع الانسان أن يعيش بدونه يوما . . أو عدة أيام . . نجد أن القدرة على اختزان الماء قليلة . . والقدرة على منع الماء عن البشر قليلة . . ومحدودة . . وان كانت لها امكانيات . . وهنا يتدخل ظلم الانسان . . ولكن بقدر محدود جدا . . نظرا لأهمية الماء للحياة البشرية . . نأتى بعد ذلك للطعام . . فنجد أن قدرة الانسان على اختزانه ومنعه . . أكبر . . ولكن احتمال الانسان لعدم تناول الطعام أكثر . . فان الانسان يستطيع أن يتحمل عدة أيام بدون طعام . . ولكنه فى نفس الوقت يستطيع أن يحصل على ما يقيم أوده . . **أو يبقى الحياة فى جسده بسهولة نظراً لأن الكمية التى يحتاج لها الجسم البشرى من الطعام ضئيلة نسبيا . . فهى كما قال رسول الله ﷺ لقيمات أى كيمية محدودة من الطعام وكلما زاد إقبال الإنسان على الطعام قد جسده واعتلت صحته » .**

وهذه هى مقومات الحياة الثلاثة . . شئ لا يستغنى عنه الإنسان . .

ولا يستطيع الحياة بدونه أبدا وهو الهواء . . نافذ فيه عدل الله . . ليحصل كل إنسان على حاجته بلا عناء . . وشئ يستطيع الإنسان أن يستغنى عنه يوما وهو الماء . . متوافر للناس . . وشئ ثالث وهو الطعام . . تحكم البشر فيه أكثر . . ولكن احتمال الانسان للعيش بدونه أكبر . . وهنا ترى عدالة السماء فى توزيع مقومات الحياة . . وتدخل الانسان فيها .

نأتى بعد ذلك الى العلم . . ماذا استطاع العلم أن يقدم للانسان من هذه المقومات . . الهواء المحيط بالارض . . هل يستطيع العلم أن يخترع غلافا جويا . . كذلك الذى يحيط بالأرض . . أو أن يوفر الهواء على كوكب القمر مثلا . . مثلا توفير إرادة الله للهواء حول الأرض . . وبنفس العدالة . . الجواب : مستحيل طبعا . . فاذا انتقلنا من الهواء الى الماء . . هل يستطيع العلم أن يمد ماء . . أو يوصل ماء لكوكب من الكواكب ليس فيه ماء ويجعل الحياة ممكنة فيه . . هل يستطيع العلم أن يخلق ماء على كوكب من الكواكب ؟ كالماء الموجود على الأرض يشرب منه ألوف الملايين من البشر والحيوانات . . والطيور . . وكل شئ حى . . بحيث يكون متوافرا . . ويسقى هؤلاء جميعا . ويسقى أرضهم . . وينبت لهم الزرع ليأكلوا منه ؟ الجواب : مستحيل . . فالعلم عاجز عن أن يمد الصحارى فى الأرض بالماء اللازم لها . لتزرع . . وهناك مساحات شاسعة من الأرض صحراء جرداء . . لا يستطيع العلم أن يعطيها الماء .

بل اننا نجد الصحراء تمتد بجوار الأرض الخضراء . . تلك فيها حياة . . والأخرى ميته لا حياة فيها ولا ماء . . والعلماء يعترفون ان العلم عاجز عن أن يسقى البشر ماء . رغم أن الله سبحانه وتعالى قد أتاح

للعلماء معرفة تكوين عناصر الماء . . وطريقة تكوين السحب . . ولكن كل هذا هو من خلق الله . . والعلم لا يستطيع ان يقدم شيئا فى ذلك . . ولا يستطيع أن يخلق ظروف الحياة . . على كوكب لا حياة فيه .

ننتقل الى الطعام . . هل يستطيع العلم أن يجعل حبة تنمو على يدك . . أو على شيء غير الارض . . أو التربة الأرضية . . هل يستطيع العلم أن يزرع زرعا فى الهواء فينمو ويزدهر . . لا يستطيع . . بل يجب أن ينمو الزرع فى الأرض . . وان يتغذى من التربة وبالماء . . ومن هنا فان مقومات الحياة الثلاثة لا يستطيع العلم أن يقدم للانسان فيها شيئا . . ولا يستطيع أن يعطيه فيها بديلا . . الانسان محتاج الى الهواء . . والماء . . والأرض . . ليعيش . . والعلم عاجز عن أن يخلق له ماء أو هواء . . أو أرضا جديدة . .

وكل ما يستطيع أن يقدمه العلم هو الرفاهية . . بمعنى اننى عندما احس بالعطش يجب أن أذهب الى النهر أو الى النبع . . أو الى مكان فيه ماء لأشرب . . العلم يجعل هذا الماء يصل الى مكانى مثلجا . . وبالنسبة للطعام . . المفروض عندما أجوع أن أذهب الى المكان الذى يزرع فيه الطعام أو ينبت فيه لآكل . . العلم يوفر لى هذا الطعام فى بيتى . . ويستطيع أن يكشف طريقة لتحسين الانتاج وتطويره . . بحيث يكون الحجم أكبر . . والطعام أشهى . . ولكنه لا يستطيع أن يخلق طعاما . . والعلم يوفر لى رفاهية فى العمل الذى أقوم به . . فيخترع لى آلة بدلا من الفأس التى استخدمه فى الزراعة . . ويخترع لى آلة حاسبة أو عقلا الكترونيا يقوم بالحسابات . . وييسر لى الانتقال السريع بالطائرة . . الى

غير ذلك من وسائل الانتقال . . ولكنه لا يخلق لى شيئا من مقومات الحياة . . وهذا واضح فى قول الله سبحانه وتعالى فى سورة الواقعة حينما يتحدث عن مقومات الحياة . . وكيف انها من صنعه سبحانه وتعالى ، فيقول :

« أفرأيتم ما تحرثون أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون »

« أفرأيتم الماء الذى تشربون أأنتم انزلتموه من المزن أم نحن المنزلون » . . أفرأيتم النار التى تورون ، أأنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون » .

والله نسأل ان يهدينا جميعا الى صراطه المستقيم



الله سبحانه
والفطرة الإنسانية



الله سبحانه
والفطرة الإنسانية

الإنسان فى صلته بالعالم الخارجى يتمتع بما نسميه الحواس .. فأنت ككائن بشرى حين تتصل بالعالم الذى يحيط بك .. فإنك تتصل به عن طريق حواس حددت بخمس هى : أن يسمع الإنسان ويرى ويشم ويلمس ويتذوق .. هذه الحواس نفهم بواسطتها العالم الخارجى ونميز بواسطتها هذا العالم ، بل ونعطيه صفاته التى نطلقها عليه .. فصفات الألوان مثلا نميزها بحاسة البصر .. ونوع الطعام مثلا نعطيه لفظ الحلو .. ولفظ المر .. ولفظ الجيد .. ولفظ الردىء بحاسة الذوق إلى آخر هذا الكلام .. إذن فنحن نتصل بالعالم الموجود خارجيا عن طريق هذه الحواس .. ولكن ماذا عن عالم ما هو داخل النفس البشرية .. وكيف يمكن أن يتم الاتصال بين الإنسان .. وما هو موجود فى داخله .. هل يتم هذا الاتصال عن طريق الحواس .. أو عن طريق أشياء أخرى يطلق عليها بعض الناس البديهيات .. وبعض الناس لفظ الهام خاص .. وبعض الناس ألفاظاً أخرى.. ولكن المؤكد أن هذا الاحساس ، الذى يتم بالنسبة لما فى داخل النفس البشرية لا يتم عن طريق الحواس الخمس التى تتصل بها بالعالم الخارجى .. وإنما يتم عن طريق أ شياء أخرى يطلق عليها كما قلت الهام أو احساس داخلى إلى آخر هذا ..

ولنشرح الموضوع بشئ من التفصيل .. نبدأ أولا بالأشياء التى يصل إليها الإنسان عن طريق حواسه التى توصله بالعالم الخارجى .. فهو يرى ألوانا مختلفة .. ويسمع أصواتا مختلفة .. ويلمس أشياء مختلفة .. ويتذوق طعاماً مختلفاً .. ويشم روائح مختلفة .. هذا هو اتصال الإنسان بالعالم الخارجى .. أما اتصاله بما فى داخله فيأتى مثلا عن طريق شعوره بالجوع .. اننا لا نرى الجوع .. ولا نلمسه .. ولا نشمه .. ولا نتذوقه .. ولكننا نشعر به .. وما ينطبق على الجوع .. ينطبق على الاشياء الأخرى .. مثل الحب والكره مثلا .. الإنسان يحب شخصا ما .. ويكره شخصا ما .. أو شيئا ما .. دون أن يكون لذلك سبب حسى معروف ..

إذن فهناك أشياء فى داخلنا .. تسمح لنا بأن نشعر شعورا معينا .. هذا الشعور نحس به ونعرفه تماما .. ولكننا لا نراه بحواسنا .. أن الإنسان مهما قال فى شرح أسباب الحب والكراهية لا يستطيع أن يصل إلى الحاسة التى تسبب الحب .. أو التى تسبب الكراهية .. فهذه الحاسة لا تدخل ضمن الحواس الخمس .. التى يتصل بها الإنسان بالعالم الخارجى .. أو التى تحدد علاقة الإنسان بالعالم المادى .. ومن هنا فإن العلماء حريصون حينما يتحدثون عن الحواس أن يقولوا إنّ هذه الحواس هى التى توصل الإنسان بالعالم الخارجى .. وأن الإنسان له ملكات وغرائز وشعور والهام .. وأشياء أخرى فى داخله توصله بداخل النفس البشرية .. وتؤثر فى هذه النفس .

والذى لا يخضع للمنطق أن نحاول أن ننكر أن فى داخل الإنسان أشياء كثيرة غير الحواس التى توصله بالعالم الخارجى .. وأن الإنسان يستطيع أن يتصل بالعالم .. بينما ما بداخله يترك بلا اتصال أو احساس معين بل الحقيقة أن الالهام أو الشعور والاحساس بما فى داخل النفس البشرية يوجد قبل احساس هذه النفس بما حولها من العالم .. تلك سنة الخلق .. فالطفل الصغير مثلا يحس بالجوع والعطش .. ويعبر عنهما بالبكاء قبل أن يستطيع أن يستخدم حواسه فى اتصال بالعالم الخارجى .. وهو يحس بالحنان والدفء .. والحب والكره .. والقسوة .. والرحمة .. كل هذه الأشياء توجد فى داخل نفسه مع دقات الحياة الأولى .. بينما الحواس قد تنتظر أسابيع أو شهورا قبل أن تستطيع أن تؤدى مهمتها بشكل يمكن أن يعبر عنه .

وإذا درسنا هذه الحواس الداخلية .. نجد أن أقواها هو أحساس الإنسان بوجود الله . هذا الاحساس الذى قد يفتقر إلى شئ من الدقة بالنسبة لعظمة الله وقدرته .. والكون .. ووجوده .. وكل شئ من هذا النوع .. ولكن هذا الاحساس يؤكد وجود قوة داخل الإنسان تدفعه إلى أن يشعر ويحس بوجود الخالق سبحانه وتعالى ...

الاحاسيس الداخلية :

ولكى أوضح هذه النقطة .. أحب أن أقول ان النفس البشرية التى فيها أحاسيس لا نستطيع أن نحللها بدقة .. ولا أن نصل إليها لنعرف

ما هى .. تحس أيضا هذه النفس أحساسا يقينيا بوجود الله سبحانه وتعالى .. فاسم الله مثلا هو شئ لا تدركه الحواس الخمس .. لأنه أكبر من قدرتها .. ولكن تدركه حاسة داخل الإنسان .. حاسة غير مرئية .. ومن هنا فإن كلمة الله التى هى فوق قدرة الحواس الخمس .. نجد أن الاذن تفهمها عندما تسمعها .. ولا يمكن للأذن أن تفهم شيئا لا يوجد أصلا دخل النفس البشرية .. بحيث يكون التصور هنا ليس قريبا تماما .. على هذه النفس .. بل هو معروف لها بشكل قد لا نفهمه نحن .. ولا نستطيع أن نحلله .. ولكنه معروف .. فعند ما يذكر لنا أحد إسم الله .. فإن الذى يقفز إلى عقولنا هو وجود قوة خارقة .. هى التى أوجدت هذا العالم .. وأن هذه القوة خارج نطاق العقل .. بل وخارج نطاق الحواس .. إذن كيف ندرك وجود هذه القوة .. وكيف يكون إسمها مألوفا عندنا .. وهى خارج نطاق الحواس .. وخارج نطاق العقل .. هنا يأتى ما فى داخل النفس .. وهو الإلهام .. أو الشعور .. ليقول لنا إن هذه القوة رغم أنها فوق مستوى العقل والحواس .. فإنها موجودة داخل النفس .. والنفس تفهم وتحس بوجودها ..

وفى العصر القديم بدأ الفلاسفة .. خصوصا فلاسفة اليونان يبحثون عما وراء المادة .. عما وراء هذا العالم المادى .. عن الخلق .. وعن القوة التى أوجدت هذا العالم .. عن ما وراء المادة .. والإنسان منذ فجر التاريخ .. منذ بداية خلقه .. وهو يبحث عما وراء المادة .. بطرقه المختلفة .. وهو أحيانا يتخذ سبيلا أو آخر لا ظهار خضوعه أو عبوديته

لهذه القوة التى هى وراء المادة ولكن المهم فى هذا كله .. أن هناك شعورا داخليا فى النفس البشرية يقول لها أن هناك قوة ما وراء هذا العالم .. وأن هذه القوة عظيمة وخارقة .. هناك شئ داخل النفس البشرية يجعلها تدرك أو تفهم أن العالم المادى الذى يرونه لا بد وأن تكون وراءه قوة خارقة قادرة منظمة .

والإنسان حين يصل إلى مرحلة التفكير فى قوة خارقة وراء هذا الكون .. لا بد أن تكون قد مرت فترة من عمره .. فالإنسان عادة لا يبدأ فى التفكير فى مثل هذه الأمور .. والتحدث عنها بعمق دون أن يكون قد تجاوز سن العشرين أو الثلاثين على الأقل .. ليكون لديه نضج العقل الكافى لمناقشة أمر عميق كهذا .. والسؤال الذى يجب أن يطرح هنا .. هو بأى منطق عبد هؤلاء الناس الله .. قبل الوصول إلى هذا السن .. وكيف تفهموا كل هذه الفلسفة التى تحتاج إلى عقل ناضج .. وإلى علم ودراسة وتأمل .. حتى يستطيعوا أن يصلوا إلى أن هناك شيئا وراء المادة .. ولكننا نجد العقول البسيطة التى لم تقرأ كتابا واحدا .. تعرف أن الله موجود .. وتعبده بفهم .. ونجد أولئك الذين لم يناقشوا هذا الموضوع على الاطلاق .. يعرفون وجود الله .. ويقومون بعبادته .. بل أن أكثرهم يحس بانسجام فطرى غريب بأن الله سبحانه وتعالى .. ووجود الكون شيئان لا بد منهما .. وأن وجودهما حقيقة داخل النفس .

أن هذا الشئ نفسه .. هذا الذى يوجد داخل النفس البشرية ليؤكد أن هناك شيئا وراء المادة .. وأن هناك قوة كبرى وراء هذا الكون .. دون أن تكون قد وصلت إلى سن النضج والدراسة والفلسفة التى تؤهلها لمناقشة هذا الموضوع .. هذا فى نفسه دليل على وجود الله

سبحانه وتعالى .. فلقد عبدوه عن إيمان خلق فى قلوبهم .. منذ اللحظة التى يولدون فيها .. وإنطلاقا من هذا الإيمان عندما نضجوا .. قادوا عقولهم إلى التفكير .. وسواء سارت العقول فى الطريق السليم .. أو ضلت .. فالإيمان بالله .. والبحث عنه .. ووجود شئ فوق العالم المادى موجود فى النفس البشرية .. بالفطرة وليس بالعلم .. ولو وجد بالعلم لكان لا بد أن يبدأ عندما يبلغ الإنسان سن النضج فى التفكير .. ولو كان موجودا بالعلم عندما وصل العلم إلى مرتبة العجز .. عجز العقل البشرى عن الوصول إلى صفات الله وقدراته .. لتركت هذه القضية على أساس انها فوق قدرة العقل .. ولكن بالرغم من أنها فوق قدرة العقل .. فهى قضية مثارة .. وأجهد الناس أنفسهم فيها .. كل واحد يحاول أن يصل إلى وجهة نظره حول هذا الموضوع .

ومعنى هذا الجدل كله الذى يمضى ولن ينتهى .. ومعنى البحث عن أدلة عن القوة الموجودة وراء العالم المادى .. معناها أننا نعرف وجود الله بالفطرة .. وأنه يوجد داخل أنفسنا ما يؤكد أن الله موجود .. والا لما أنهكت النفس البشرية قواها فى هذا الجدل .. ولكان العقل البشرى يعيش مطمئنا وسعيدا بالعالم المادى .. الذى خلق فيه .. ولا يحاول أن يصل إلى أكثر من ذلك ..

الرسالات السماوية

ولكننا إذا نظرنا إلى أولئك الذين يعبدون المادة .. نجد أن نفوسهم فى داخلها قلق رهيب .. رغم ما يحققونه من نجاح فى العالم المادى ففى أمريكا والسويد مثلا .. أعلى نسبة فى الانتحار فى العالم .. مع أن هذا يخالف المنطق والعقل .. فالذى يقوله المنطق .. أنه إذا كان العالم ماديا

فقط .. وحصل هؤلاء الناس على كل ما تستطيع المادة أن تهبهم اياه . لكانوا أسعد الناس نفسا .. ولكنهم بشهادة الاحصائيات هم من أشقى شعوب العالم نفسيا .. وأكثرها عرضة للجنون .. لماذا ؟ .. لأنه يوجد فى داخل النفس البشرية شئ ما يؤرقهم .. شئ ما لا يحقق لهم الانسجام بين هذه النفس والكون .. شئ ما يحول حياتهم التى فيها كل أنواع الترف إلى جحيم نفسى .. ذلك الشئ هو عدم الإيمان .. انه يورثهم أشياء كثيرة .. تحطم النفس تحطيما .. لماذا ؟ .. لأن الإنسان هنا منسجم مع الكون بحواسه الخمس .. التى يتصل بها .. بهذا الكون المادى .. ولكنه ليس منسجما مع نفسه فى فطرتها التى خلقت عليها فى عبادة الله .. والإيمان به .. ومن هنا فانه رغم انسجامه مع الدنيا .. شقى داخل نفسه .. لأن هناك شيئا داخل هذه النفس .. يؤرقه .. لا يعطيه الحياة الآمنة المطمئنة .. ذلك الشئ هو الإيمان .. بينما نجد أن هناك نفسا بسيطة .. لا تعطيها الدنيا كثيرا .. ولكنها تعيش فى اطمئنان غريب .. حياتها حلوة .. قلبها سعيد .. عيشتها مطمئنة .. يضئ داخلها نور الإيمان بالغد .. ولا يدخل إليها ظلام اليأس والقلق .. تلك النفس رغم انها غير منسجمة مع العالم المادى . فى أنه لم يعطها كل ما تطلب .. انما هى منسجمة مع داخلها بالايمان بالله .. وهذا الانسجام يأخذ منها كل الشقاء الذى يقود إلى الجنون والانتحار .. ويدخل فيها الطمأنينة .. ويمنحها الحياة السعيدة ..

اذن فانسجام النفس مع العالم المادى .. قد يورثها شيئا من الحرمان . ولكن عدم انسجام النفس مع داخلها .. يحطمها تماما .. ويقضى عليها .. ولذلك كما قلت فإن الإيمان بالله هو من أقوى ما نسميه الفطرة .. أو الالهام .. أو الاحساس الداخلى الذى يجعل الإنسان

منسجما مع داخل نفسه .. مطمئنا فى حياته ..وعدم الإيمان يحطم الإنسان نفسيا .. رغم ما يحيط به من نعيم مادى .. وهنا يكون الشعور الفطرى الذى يولد مع النفس البشرية .. بأن الله موجود .. وأنه خالق كل شئ .. ومدبر كل شئ .. يكون هذا الاحساس هو أقوى احساس فى داخل النفس وخارجها .. فلا يستطيع أن يعوضه الكون المادى .. وكما يمنحه للنفس البشرية .. ولا تستطيع أن تعوضه الأحاسيس الأخرى التى تولد داخل النفس البشرية .. ونسميها الفطرة ..كالحب والكره .. والجوع .. إلى آخره .. تلك الأشياء التى مهما تحدثنا عن أسبابها ومصدرها .. لا نستطيع أن نصل إلى الحاسة التى تسبب هذه الأشياء . فلا أحد يستطيع أن يصل إلى الحاسة التى تسبب الكره .. أو التى تسبب الحب .. أو التى تسبب الحنان .. إلى آخر هذا .. ومن هنا فإن الإيمان بالله يولد فينا بالفطرة .. ثم بعد ذلك نحاول أن نخضعه لتفكير العقل .. وهنا يحدث التضارب ..

ولكن إذا كان يوجد داخل أنفسنا ما يؤكد وجود الله .. فما الذى أوجد هذا القلق فى العالم .. وما الذى أوجد المذاهب المتضاربة .. ولماذا يحاول بعض الناس أن يثبت وجود الله .. وبعض الناس أن ينكر وجود الله ما سبب هذا التضارب العجيب الذى نراه .. ما دامت النفس البشرية يوجد فيها بالفطرة ما يؤكد وجود الله ..

الحقيقة ان الذى صنع هذا هو أن الفلاسفة وكل من حاول أن يخوض فى هذا الموضوع .. وضع الخيال مكان المنطق .. وضع التصور مكان التفكير .. ومن هنا فإن العقل البشرى فى محاولته أن يخوض فيما هو أكبر من قدراته .. لم يستطع أن يقدم ما يريده .. فانطلق إلى الخيال ..

وأريد هنا أن أضرب مثلا يوضح ذلك .. إذا اقفلنا باب هذه الحجرة التى نجلس فيها .. ثم طرق أحدهم الباب فكلنا نعرف أن هناك شخصا ما هو الذى طرق الباب .. هذه قدراتنا.. وهذه نقطة لا خلاف عليها فإذا بدأنا نسأل أنفسنا .. من الذى طرق الباب .. هل هو رجل أو امرأة .. قصير أم طويل .. أبيض أم أسود .. عربى أم أعجمى .. هنا تبدأ الخلافات .. لماذا ؟ .. لأننا لا نحكم المنطق .. ولكن نحكم الخيال ..

وهذا هو ما حدث بالنسبة للفلاسفة .. لقد أرهقوا أنفسهم فى تخيل الله .. مع أن هذا التخيل .. وما يستطيع أن يهبه هذا العالم من مال وأمان .. إلى آخر ذلك .. ولعل أكبر دليل على ما أقول .. أنه فى أكثر الدول المتقدمة ماديا .. أعلى نسبة من الانتحار والجنون .. خارج عن نطاق العقل البشرى .. ومستحيل .. ذلك لأننا لكى نتخيل شيئا ما .. فإن هذا الشئ يجب أن يشبه شيئا فى قدرات العقل .. فأنت حين تريد أن تشرح شكلا معينا لإنسان .. ولا يستطيع أن يفهمك .. تقول له : إنه شئ يشبه الكرة مثلا .. وحينئذ تكون قد نقلت هذا التصور من خارج قدرة العقل البشرى إلى داخلها .. فاستطاع الإنسان أن يتصور ذلك الشئ .. ولكن الله سبحانه وتعالى ليس كمثله شئ .. إذن كل ما سيقوله الفلاسفة هو من باب التخيل الذى لا يمكن أن يدركه العقل .. ولا يخضع لمنطق .. ومن هنا فإننا لو حكمنا المنطق لما أختلفنا .. ذلك أن الله سبحانه وتعالى أخبرنا بنفسه عما يريدنا أن نعرفه عنه .. وعن عبادته .. ولكننا نريد أن نتجاوز ذلك .. إلى أشياء ليست فى قدرة العقل البشرى .. فنضيع .. ولو أننا تمسكنا بما قاله لنا الله .. لكان فى ذلك المنطق السليم ..

إذن فإن ما يؤكد وجود الله .. موجود فى قلوبنا بالفطرة .. وطريقة عبادة الله وطاعته .. وكل ما يريدنا أن نعرفه عنه موجود فى رسالاته التى أرسلها بواسطة أنبيائه المختارين .. فالمنطق يقول إننا نتبع هذه الرسالات .. والخيال يقول : إننا نبحث عما فوق قدرات العقل .. فى غيبيات حجبت عنا .. فنضيع ونتوه .. ذلك أن العقل له وظائف .. وليست من بينها عالم الغيب ..

على أن رسالات الله سبحانه وتعالى للبشر .. هى فى حقيقتها أكبر دليل على وجود الله .. ذلك أنه إذا كانت هناك قوة عليا .. قوة قاهرة قادرة .. تحكم هذا الكون .. وهى التى خلقته .. فإن العقل لا يستطيع أن يصل إلى هذه القوة .. بمعنى أنه لا يستطيع أن يقول ماذا يرضى هذه القوة .. وماذا يغضبها .. وكيف يقوم بالعبادة والشكر لها .. ذلك أن الله فوق قدرة العقل البشرى .. ومن هناك كان لا بد أن تأتينا تعاليم العبادة من الله سبحانه وتعالى .. أى أن يقول لنا الله .. كيف نعبده .. فالإنسان حين يعبد الله تتم العبادة بالطريقة التى يحددها الله لعبادته .. أما إذا ترك ذلك للعقل البشرى .. فان كل إنسان سيحدد لنفسه طريقا يعبد به الله حسب قدراته وفهمه .. وتتضارب الطرق .. وتختلف .. بل وتتناقض مع بعضها البعض .. فكيف يحدد المخلوق الطريقة التى يعبد بها خالقه . إن هذا انتقاص لقدرات الله وعظمته .. ومن هنا كان لا بد أن يعرف الإنسان طريقة عبادته لله .. عن الله سبحانه وتعالى .. ومن هنا نزلت الرسالات السماوية يقول الله للإنسان : إننى أنا الله وإذا أردت أن تعبدنى فافعل كذا تدخل جنتى .. وإذا عصيتنى وفعلت كذا وكذا فسيصيبك عذابى .. وأنا أحدد لك طريق العبادة حتى لا تضل ولا تضيع .. كان لا بد للرسالات السماوية أن تهبط إلى الأرض .. إلى الإنسان لتدله على

الخير والشر .. والإيمان والكفر .. وتبين له الخيط الأبيض من الخيط الأسود ..

إرسال هذه الرسالات فى ذاته معجزة .. ذلك أن كل من عبد غير الله سبحانه وتعالى لم تصله رسالة لتبلغه طريق العبادة .. بل هو الذى اخترع هذا الطريق بعقله .. فالذين عبدوا الشمس مثلا .. لم تصلهم رسل من الشمس تقول لهم اعبدونى بطريق كذا وكذا .. وافعلوا كذا ولا تفعلوا كذا ..

بل هم الذين حددوها حسب أهوائهم .. وكذلك الذين عبدوا النار .. وكل من عبد شيئا آخر غير الله .. ولكن الله سبحانه وتعالى الذى هو فوق كل القدرات .. وفوق كل العقول .. أرسل الرسالات إلى البشر ليحدد لهم هو الطريقة التى يعبدونه بها . ومن هنا كان الفارق بين عقل يخضع الخالق لحكمه وأهوائه .. وبين إله تخضع له كل العقول وتعجز أمامه ..

وأن الله سبحانه وتعالى قد أخبر عباده بما يريد أن يعرفوه عنه .. حيث إنه سبحانه وتعالى فوق كل العقول .. وليس كمثله شئ ..

ومن هنا فإن ما ورد فى الرسالات السماوية عن الله سبحانه وتعالى .. ومن خلال ما اتاحه الله للعقل البشرى أن يعرفه عنه .. وضع الله معجزات فى القرآن تدل على أنه الخالق .. وتنبئ الإنسان بأشياء لم تكن متاحة للعقل البشرى وقت نزول القرآن .. ولكنها بدأت بعد ذلك بالتدريج تدخل بعلم الله إلى نطاق العقل البشرى .. أى أن الله سبحانه وتعالى حين أنزل كتابه أراد أن يكون هناك عطاء فيه لكل جيل .. حتى

قيام الساعة . فالقرآن حينما نزل .. أعطى الذين عاصروه .. ثم أعطى الجيل الذى بعده .. ثم الجيل الذى بعده .. ثم جيلنا هذا .. ثم بعد ذلك هو سيعطى الأجيال القادمة .. وكل عطاء مختلف ..

ولكن يجب أن نفرق بين شيئين فى الإسلام .. الشئ الأول هو : الفرائض وأحكام الدين .. والشئ الثانى وهو ما يحتويه القرآن من معجزات وآيات وأشياء عن الكون .. وعن الخلق .. وعن كل ما احتواه القرآن من معان جامعة شاملة ..

الجزء الأول وهو المناسك .. أو طريق العبادات وكيفيتها .. هذا الجزء لا تبديل فيه ولا تغيير .. ولا تفسير .. وإنما يجب أن يؤخذ وينفذ كما أخذ ونفذ .. وفسر .. فى عهد النبى ﷺ .. أى أن الصلاة مثلا .. لا يجوز لأى فرد مهما بلغ من العلم أن يبدل فيها .. وما يقال عن الصلاة .. يقال عن الصوم .. يقال عن كل فروض العبادة ..

أما الجزء الثانى وهو عطاء القرآن .. فكلما مر الزمن وجدنا للقرآن عطاء جديدا .. فى أشياء أو حقائق كونية كانت غائبة عنا .. ثم دخلت إلى منطقة العلم البشرى بإرادة الله .. فأصبحنا نعيها ونفهمها .. والقرآن لا يتصادم أبدأ مع حقائق الكون .. ذلك لأن الله هو القائل .. والله هو الفاعل .. والله هو الخالق ..

على أن هناك نقطة الغيب .. أو منطقة الغيب .. تلك التى اختص الله سبحانه وتعالى بها نفسه .. أو من ارتضى من رسله وعباده .. وتلك النقطة هى خارج العقل البشرى .. أو فوق طاقة هذا العقل .. وإذا دخلنا فيها .. تاهت العقول .. وانتقلت من الواقع إلى الخيال .. وهنا تضل وتبتعد عن الحقيقة ..

ولقد أجهد الفلاسفة أنفسهم على مر السنوات فى الوصول إلى وجود الله .. محاولين استخدام العقل بدلا من الرسالات السماوية التى أنزلها الله سبحانه وتعالى .. ومن هنا فانهم أرادوا أن يستخدموا العقل فيما لم يخلق له .. فالعقل له وظائف فى الحياة .. ليس من بينها أن يصل إلى وجود الله غير مستخدم الرسالات التى أنزلها الله لعباده .. فهذه الرسالات قد وضع فيها الله سبحانه وتعالى الأدلة وبين فيها ما هو فى قدرة العقل البشرى منذ يوم خلقه .. إلى يوم القيامة .. ولكن الفلاسفة يريدون أن يتجاوزوا هذا .. بأن يقدموا للعقل البشرى ماهو فوق طاقته وهذا مستحيل .. فأنت حين تريد أن تجعل إنسانا يفهم شيئا .. يجب أن تدخله فى قدرة العقل البشرى أولا .. فإذا وصفت له شيئا غامضاً مثلا .. فإن العقل لا يمكن أن يفهمه .. ولكنك لكى تدخل هذا الشئ فى نطاق الفهم العقلى .. .. ولو أن الفلاسفة الزموا أنفسهم بالمنطق والحقيقة .. لما كانت هناك مشكلة .. ولكنهم أرادوا أن يحددوا أشياء لا تدخل فى نطاق الحقيقة والمنطق .. باستخدام الخيال الذى لا يعتمد إلا على الهوى .. ولقد قال لنا الله فى رسالته هذا هو الطريق إلى عبادتى .. وبين لنا الثواب .. والعقاب .. وهذا دليل قوى على وجود الخالق .. ذلك أن الذين يعبدون الشمس والأصنام .. أو أى شئ غير الله .. فإن هذه الأشياء لا ترسل لهم رسالات تقول لهم .. أو تبين لهم .. أو تعلمهم طرق العبادة .. ولذلك لم نسمع عن رسول أرسلته الشمس ليهدى الناس .. مع أن الناس عبدوا الشمس .. ولم نسمع عن رسول أرسله صنم ليهدى الناس .. مع أن الناس عبدت الأصنام .. والأحجار .. والحيوانات ..

وإذا حكمنا المنطق .. والعقل فإنّ الاثنين معا لا يقولان لنا ان ندخل فى أشياء هى فوق القدرة البشرية .. بالرغم من ذلك .. فإن

الإنسان رغم عجزه يحاول أن يخترق هذه الحجب .. بطريق الجهل . وليس العقل .. ومن هنا فإننا لا نجد أى مدرسة فلسفية حاولت أن تخترق الحجب إلى ما وراء المادة .. أو إلى العالم غير المادى .. قد وصلت إلى نفس النتائج التى وصلت إليها مدرسة أخرى .. بل إن كل مدرسة تصل إلى نتيجة قد تكون مخالفة .. أو مناقضة للمدرسة الأخرى .. ولم تصل مدرسة من هذه المدارس إلى نتيجة تقبلها كل العقول .

ومن هنا فان الرسالات السماوية قد حملت إلينا فوق الاثبات بوجود اللّه الادلة على عدم وجود أى شريك لِلّه سبحانه وتعالى فى هذا الكون .. فهى أوجدت الدليل على وحدانية الله سبحانه وتعالى .. وأنه لا إله غيره .. وأن الله أحد .. ليس له شريك .. وذلك حتى لا يدخل إلى العقل البشرى أن هناك وجودا لأكثر من قوة كبرى خلقت هذا العالم وأوجدته وأوجدت كل شئ فيه .. وأعطت العلم للإنسان ليسود فى الأرض .. ومن هنا فهى نفت أن يكون هناك إله للسماوات .. وإله للأرض .. وإله للريح .. وإله للنجوم .. إلى آخر ما كان يتصوره العقل البشرى فى القرون الماضية .. وما زال بعض الناس يتصورونه حتى الآن .. بل إنها قالت إنه رغم أن القوة فى العالم مختلفة .. أو موزعة .. فهناك الشمس مثلا بقدراتها على الإنارة .. وعلى الدفء وعلى إنماء الزرع .. وعلى احراق من يقترب منها .. كل هذه القدرات التى هى موجودة فى الشمس .. بحيث إذا اختفت إلى الأبد أصبحت الحياة مستحيلة .. وهناك قدرات أيضا فى الريح والعواصف .. تدمر .. ثم هى تنقل السحاب من مكان إلى آخر .. وتبقى الحياة على الأرض بما فيها من مواد لازمة لحياة الإنسان كالاكسجين مثلا .. بحيث إذا اختفت الريح من الأرض .. وانعدمت أصبحت الحياة مستحيلة .. وهناك مثلا الأمطار التى تعطى

الأرض مصادر المياه .. والله خلق من الماء كل شئ حى .. إذا توقفت الأمطار .. جفت الأنهار وانعدمت الحياة على الأرض .. وهناك الأرض نفسها التى يعيش فوقها الإنسان .. إنها هى الأخرى قوة أو قدرة من قدرات الله .. إذا أنفجرت هذه الأرض .. وتحطمت .. وتناثرت .. فإن الحياة تصبح مستحيلة .

كل هذه القوة .. وغيرها هى قوى .. أو قدرات .. تؤثر فى حياة الإنسان تأثيرا جذريا .. بل ان اختفاءها عن الكون قد يجعل الحياة منعدمة .. ولكن هذه القوى والقدرات .. وغيرها .. قدرة العلم .. فى اختراع أسلحة مدمرة مثلا .. تستطيع أن تفتت الكون أو تلوث الكون .. فتفنى الحياة من على الأرض تماما .. كل هذا القدرات أو القوى ليست فى ذاتها آلهة .. وليست هى التى تصنع أى شئ .. بل هى مسخرة لخدمة الإنسان .. والذى سخرها هو الله سبحانه وتعالى .. فالشمس ليس لها إرادة مثلا تستطيع أن تقول : اليوم سأشرق .. وغدا لن أشرق .. لن أرسل اشعتى إلى الأرض اليوم .. بل سأحجبها عنها .. وأرسلها غدا .. الشمس لا تملك هذه القدرة .. لماذا ؟ .. لأن الله سبحانه وتعالى خلقها وسخرها لهدف معين .. ومن هنا فهى تقوم بوظيفتها فقط .. ولا تملك .. رغم أنها قوة قادرة هائلة .. لا تملك هذه الشمس التحكم فى هذه القوة .. بل هى مسخرة لاداء وظيفة معينة لن يعطيها الله العقل لتفكر وتختار .. ولكن أعطاها الوظيفة والقوة .. والقدرة لتعمل لما خلقت من أجله .

وما يقال عن الشمس .. يقال عن الريح .. وعن الأصنام وعن كل القوى الموجودة فى العالم .. فلا الريح تستطيع أن تترك الأرض مثلا وتذهب بعيدا .. أو أن توقف حركتها .. ولا الأرض تستطيع أن ترفض الدوران

حول نفسها .. ولا أى من هذه القوى التى سخرها الله للإنسان تملك لنفسها أن تخرج عن الوظيفة التى سخرها الله من أجلها ..

وقد قال الله سبحانه وتعالى لنا فى رسالاته أنا الله أقول لكم إننى خلقت فى هذا الكون قوى خارقة أكبر منكم وأقوى .. وأشد لا تستطيعون السيطرة عليها .. ولا إخضاعها بعلمكم لتكون فى خدمتكم .. فأنتم لا تستطيعون أن توقفوا حركة الشمس .. أو حركة الأرض .. أو حركة الريح .. وأنتم لا تستطيعون أن تسيطروا على غيركم من مخلوقاتى .. ولكنى سخرت هذا كله لكم .. وجعلته فى خدمتكم ليصنع لكم الحياة على الأرض .. بأذنى وبأمرى .. وجعلت هذا الأشياء مسخرة ليس لها عقول تفكر بها .. لأقول لكم إننى أنا الله خالق كل شئ .. وهذا هو خلقى أمامكم .. كل هذه القوى تخضع لى أنا .. وأنا جعلتها فى خدمتكم .. جعلتها مسخرة لكم ..

هذا ما قدمه الله فى كتابه ليتدبر فيه الإنسان .. فى وجود الله .. ومع ذلك فإن الإنسان يترك هذا الكتاب .. ويذهب إلى مالا يعرفه .. ويحاول أن يتفلسف بعقله .. ويخلق من خياله أشياء عن الكون .. وكأنما **لا يكفيه ما أعطاه الله له مما يستطيع أن يعمل فيه العقل البشرى سنوات وسنوات طويلة .**

ومن هنا فإن دخول العقل البشرى فى منطقة لا يعلم عنها شيئا .. وتركه ما أعطاه الله له .. مما يدخل فى قدراته .. تبدأ المدارس الفلسفية المختلفة كلها تبحث عن الله .. بعيدا عن الله .. والله نسأل أن يهدينا جميعا إلى صراطه المستقيم .

الله سبحانه
والعدل الأكبر



الله سبحانه ..

والعدل الأكبر

قضية الإيمان هى أن نؤمن بالله أو لا نؤمن .. الإيمان بالله معناه إنك قد آمنت .. وصدقت بأن هناك قوة كبرى منزهة عن كل شئ .. قد آمنت بأن الله سبحانه وتعالى ليس كمثله شئ فى علمه .. وخلقه .. وفضله .. ورحمته .. وقوته .. وانتقامه .. وعذابه .. وأنه سبحانه وتعالى ليس كمثله شئ فى كل ما تعرف وما لا تعرف .. ومن هنا فإننا لا يجب أن نقيس علمنا بعلم الله .. ولا قدرتنا بقدرة الله .. ولا فهمنا بفهم الله .. فإذا قال الله .. سبحانه وتعالى إفعل .. فأنا لست مؤهلا .. لأن أقول لماذا ؟ .. وأن اناقش .. ذلك أن المناقشة يجب أن تكون بين علم متساو .. وعقل متساو .. فلا نستطيع أن نقيم مناظرة علمية بين أعلم أهل الأرض .. وبين انسان لم يعرف العلم .. عاش طول حياته فى مكان مهجور لا يعرف شيئا عن الدنيا .. ثم يأتى هذا الإنسان الذى لا يعرف شيئا ليقف ويناقش .. أعلم إنسان فى الأرض .. يناقش فى العلم .. لو اننا اقمنا هذه المناقشة لكنا سخرية العالم اجمع .. **لأنه** لا وجه للمقارنة ..

ولا تهمنا الناس بالجنون .. والسفه .. والتفاهة .. وقلة العقل .. مع اننا هنا نستخدم الفارق فى العلم البشرى فقط .. فما بالك بالفارق بين علم الإنسان .. وعلم الله سبحانه وتعالى ..

ولكن العجيب .. والعجيب جدا أننا حينما نستخدم الفرق بين العلم البشرى .. وعلم الله سبحانه وتعالى .. نجد بعض الناس يجادل ويدعى أنه مؤهل لمناقشة الله فى علمه .. ولمناقشة الله فى طريق الحياة التى رسمها للبشر .. ولا يخجل مثل هذا الإنسان أن يقف ويجاهر بذلك .. ولا يخجل البشر الذين حوله .. وهم يقولون هذا الكلام الذى يدعو إلى السخرية .. ولا مقارنة بين علم الله .. وعلم البشر ..

إذن الإيمان بالله سبحانه وتعالى .. هو تسليم لقدرات الله التى ليس فوقها قدرة .. تسليم لعلم الله الذى ليس فوقه علم .. وتسليم الله سبحانه وتعالى الذى ليس كمثله شئ .. هذا هو مدخل الإيمان إلى النفس البشرية .. وهذا المدخل قد لا يأتى إلا بعد تفكر وتدبر فى الكون وآياته .. ولكنه عندما تستكين النفس ويطمئن القلب .. ويقول الله إفعل كذا فنفعل .. لماذا ؟ لأن الذى يقول هو أعلم منى .. ولأنه يحبنى .. لأن الله يحب عباده .. ويغفر لهم خطاياهم ويسامحهم ويتوب عليهم .. الله يحبنى .. ويريد هدايتى .. ومن هنا فهو يفتح لى الطريق .. ويبين لى آياته فى الكون .. ويرينا المعجزات فى الأرض مما خلق .. بل إنه يرى كل جيل منا ما كان خافيا على الجيل الذى سبقه .. ومن هنا فإنه حين يقول افعل فهو يقولها : لأنها طريق السعادة لى .. والراحة لنفس وقلبى .. لأنها طريق

الحياة الطيبة .. الله سبحانه وتعالى وعد المؤمنين بالحياة الطيبة فى الدنيا .. والحياة الطيبة هى نفس راضية مطمئنة .. تخلصت من القلق .. ومن الخوف .. ومن الفزع .. ومن كل ما يحطم النفس البشرية ويحيلها إلى جحيم .. فإذا قال لى الله سبحانه وتعالى .. افعل .. فهو يريد السعادة لى بهذا الفعل فى الدنيا والآخرة .. لأن فعلى لن يزيد فى ملك الله شيئا وعدم فعلى لن ينقص ملك الله فى شئ .. فالله حين يقول أفعل يقدم لى الحياة الطيبة فيما أفعل .. وحين يقول لا تفعل يقينى الحياة الشريرة بما لا أفعل .. ومن هنا .. ومن منطلق هذا الإيمان .. وجبت الطاعة ..

وليس النقاش .. ففيم يقول الله سبحانه وتعالى فيه افعل أو لا تفعل .. إذا كنت مؤمنا فإننى أعرف أن هذا لخيرى وسعادتى .. فأنطلق نحوه .. وأفعله .. وأنا اشعر بغبطة وفرح .. لأننى قد استطعت أن اختار الحياة الطيبة .. ليس على حسب قدراتى أنا .. وفكرى أنا .. ولكن حسب قدرات الله سبحانه وتعالى الذى ليس كمثله شئ .. وإذا كنت غير مؤمن .. بدأت اناقش وافلسف حسب قدراتى ولن أصل إلى شئ .. فانا فى الإيمان أفعل ولا أفعل .. اختار بين حياة رسمت حسب قدرات الله سبحانه وتعالى . وحياة يصورها لى عقلى .. والفرق بين الاختيارين هو .

الايمان .. الإيمان بأن الذى وضع اسس الحياة الأولى هو أقدر منى .. واعلم منى .. وهو خالقى .. وهو يريد لى الخير .. ويريد ان يخلصنى من الشقاء .. ومن الكيد الذى يعانيه الإنسان فى الحياة .. ومن هنا كان إيمانى هو اساس الطاعة .. وليست قدرات عقلى .. اما فى أمور الحياة

العادية التى تركها الله لاختياراتى .. لم يقل إفعل ولا تفعل .. فهنا ياتى دور العقل فى المفاضلة والاختيار .

ومن هنا نجد الإنسان المؤمن قويا قادرا .. لا تهزه شدائد الدنيا كلها .. لماذا ؟ .. لانه يحس أنه مهما انعدمت اسباب العقل وتوقفت .. فإن الله الذى رسم له طريق هذه الحياة التى يتبعها .. قد وعده أنه سيحييه حياة طيبة .. وهو لا يمكن أن يتخلى عنه أبدا .. بل انه سيفتح له من الأبواب .. ويوجد له من الأسباب ما يجعل له مخرجا من الضيق الذى يعانيه مصداقا لقوله تعالى : (**ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب**) .

على أن الله سبحانه وتعالى يعطينا ما يقرب إلينا .. ذلك الذى هو فوق قدراتنا .. لنعرف أو نلمس الحكمة فيه .. وهو يفعل ذلك رحمة بعقولنا ونفوسنا .. فاذا قال اللهسبحانه وتعالى .. لا تأخذ مال غيرك .. فليس هذا منعا لى من الحصول على مال غيرى فقط .. ولكنه حماية لى من أن يحصل أى فرد فى المجتمع على مالى الخاص .. اى أن اللّه يحمينى عندما يضع حرمة المال الخاص .. يحمينى من الملايين التى تعبث فى الأرض .. والتى يمكن ان تعتدى على مالى وتأخذه .. فهذا التحريم انما هو رحمة بى .. وحماية لى من ملايين البشر الذين لا استطيع ولن استطيع ان اقاومهم .. ويأتى الله سبحانه وتعالى بقدرته وقوته ليجعل هذا قانونا عالميا يمشى فى العالم كله رحمة للناس ..

وعندما ينهانى الله عن أن أشهد الزور .. أو أن أكذب .. أو أن

اسرق الناس فى الميزان .. أو غير ذلك .. فهو فى الواقع يوفر الحماية لى من كل هذا .. فأنا فرد فى المجتمع لو أبيحت فيه هذه الحرمات لكنت أول ضحية فيه .. ولعم الشقاء المجتمع كله .. فالفرق بين حكم الغابة الذى لا يكون الإنسان فيه آمنا مطمئنا على نفسه .. وبين الحكم الذى يعطى الآمان للبشر .. هو فرائض الله فى أفعل ولا تفعل .. وهذه الفرائض كلها لا يمكن أن تحقق أهدافها إلا إذا دخل الإيمان القلب ..

على أن هناك سؤالًا أخيرا يطرح نفسه هنا .. وهو الكوارث التى تصيب الإنسان فى الحياة .. فى حياته .. وفى نفسه .. وفى بيته .. فى حياته حيث الخوف والقلق .. وعدم الاطمئنان إلى الغد .. وفى نفسه حيث الحيرة والصراع الشديد .. بين ما يحققه من لذة عاجلة أو مصلحة عاجلة .. أو هدف عاجل يريده .. وبين ما تقتضيه تعاليم الله سبحانه وتعالى بالنسبة لهذه الاشياء .. أما فى بيئته فهو ما يحدث فى الأرض من فيضانات وزلازل .. واشياء مدمرة قد تنشر البؤس و الدمار فى مجموعة من البشر .. وهذه الاشياء الثلاثة هى ما تبقى حول موضوع « الله والنفس البشرية » . وكلها لها إجابات وأيضاحات تجعل العقل يقترب أكثر .. وأكثر من الله سبحانه وتعالى ..

إذا بدأنا بالنفس البشرية فهذه قصة طويلة بدأت منذ أول الخليقه وتنتهى يوم القيامة .. ذلك أن الإنسان يظلم نفسه فى كثير من الأحيان ظانا أنه يقدم لها الخير .. ويفعل سوءاً فلا يحصل على شئ إلا الذنب .. وهو فى كلتا الحالتين يحاول أن يبرر ما يفعل بأنه خير .. كيف ذلك ؟

الإنسان يريد أن يخلد فى الحياة فلا يموت ويريد مالا لا ينتهى ولا يذهب .. وهذا هو مدخل الشيطان للنفس والله قد جعل الأجل بيده

والرزق بيده ليقينا الإنحراف ويبعدنا عن الإغراء الكاذب ولكننا رغم ذلك نبحث عن الخلود .. وعن المال الذى لا يزول ولا ينتهى .

ان مدخل الشيطان إلى النفس البشرية .. حدده الله سبحانه وتعالى فى القرآن الكريم بأنه (**جنة الخلد وملك لا يبلى**) .. هذا هو المدخل الذى استطاع الشيطان أن يخرج به آدم و حواء من الجنة .. وأن يجعلهما يعصيان الله سبحانه وتعالى .. فالإنسان يريد الخلود .. انه لا يريد الحياة أن تنتهى .. يود أن يعمر ألف سنة .. ومائة ألف سنة .. والبحث عن الخلود يلازم النفس البشرية منذ أن بدأت حياتها على الأرض .. منذ أن خلقها الله حتى الآن .. الإنسان يبحث عن الخلد .. وعما يبعد الموت عنه .. رغم أن الله سبحانه وتعالى قد أكد فى كتابه العزيز أنه لا مفر من الموت فإن الإنسان يحاول أن يهرب بشتى الطرق .. والابحاث عن إطالة الحياة .. وعن تجميد جسم الإنسان حتى يعالج من أمراض تسبب الموت .. قد يكتشف لها دواء فى المستقبل .. الابحاث عن هذا مازالت جارية ..

ولكن من ذلك الذى يكره نهاية الحياة .. **إنه** الإنسان غير المؤمن لماذا ؟ .. لأن الموت خلق كالحياة تماما .. فالله سبحانه وتعالى قال : (**الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا**) .. إذن فالموت خلق كالحياة .. ولكننا نحب الحياة .. ونتمسك بها .. والموت للإنسان المؤمن إنتقال من حياة يتمتع فيها ويحاسب فيها على حسب قدراته هو إلى حياة يتمتع فيها ويحاسب فيها على قدرات الله سبحانه وتعالى .. والإنسان فى بحثه عن الخلود .. هو مستعد أن يفعل كل شئ .. وأى شئ ..

والمدخل الثانى بعد الخلود .. هو ملك لا يبلى .. أى مال لا ينتهى .. فالإنسان يريد حياة لا تنتهى ومالا لا ينتهى .. فالله سبحانه وتعالى قد جعل الإثنين بيده .. ليقى الإنسان من دخول الشيطان إلى نفسه .. فجعل لكل أجل كتابا .. وجعل الرزق بيد الله سبحانه وتعالى بغير حساب .. ومن الذى يستطيع أن يحاسب الله جل جلاله وهو العزيز القدير ..

إذا الله سبحانه وتعالى أراد أن يقى الإنسان من الانحراف فى الحياة .. ومن الابتعاد عن الحياة السعيدة إلى حياة الشقاء .. فرسم له الطريق .. ووضع له منهج الحياة التى هو خالقها .. وهو الأعلم بها .. وقال فى كتابه العزيز (**لنحيينّه حياة طيبة**) ، وقال : (**نحن أولياؤكم فى الحياة الدنيا وفى الآخرة .. ولكم فيها ما تشتهى أنفسكم .. ولكم فيها ما تدعون نزلًا من غفور رحيم**) ..

وبعد أن رسم الله سبحانه وتعالى أسس الحياة وسبلها .. ووضع منهجاً لها .. قال لنا أن الشيطان سيحاول أن يغريكم بالمال .. وبالخلود .. وأنا أقول لكم سلفا حتى لا يكون لكم حجة .. أن لكل منكم أجلا .. فإذا جاء أجلكم لا تستقدمون ساعة ولا تستأخرون وأقول لكم إن الشيطان سيعدكم بمال لا يفنى ولا يذهب ولا ينتهى .. وأنا اقول لكم أن (**رزقكم فى السماء وما توعدون**) .. واننى أرزق من آشاء بغير حساب .. حتى لا تكون لكم حجة فى اتباع الشيطان ..

وبالرغم من هذا .. فإن الشيطان يجد المدخل بسهولة إلى النفس البشرية .. وكلما تقدم الزمن .. وتقدم العلم .. وتقدمت الرفاهية التى يستطيع أن يضعها فى حياة الإنسان .. انفتح فى النفس البشرية مدخل

أوسع للشيطان .. ذلك أن المال يستطيع أن يحقق مالم يكن من الممكن تحقيقه.. فى الماضى .. الإنسان يستطيع الآن أن يمتلك سيارة وطائرة .. وتكييف هواء .. وأن يقدم له المال حياة سهلة .. ويجعله سيدا مطاعاً ..
ومن هنا كلما اتسعت دائرة الرفاهية التى يستطيع المال أن يحققها فى حياة الإنسان .. زاد فهم الإنسان للمال .. ولقد شاء الله سبحانه وتعالى أن يجعل للاستمتاع البشرى حدودا ليفهم الناس أن كثرة المال لا قيمة لها فى حياة البشر .. فجعل المرض فى كثرة الطعام .. وجعل الداء فى الفاخر الدسم .. وجعل العجز فى عدم الحركة التى توفره الرفاهية .. وجعل قدرات الجسم تتلاشى فى الاسراف فى الاستمتاع البشرى أيا كان نوعه .. ووضع سر الصحة فى الأشياء التى لا تكلف الإنسان مالا كثيرا .. فقليل الطعام غير الدسم .. وغير الفاخر .. أساس اعتدال الصحة .. والمشى على القدمين الذى يستطيعه الغنى والفقير على حد سواء .. ودون أى مشقة أو تكلفة . . هو الطريق الوحيد الآن لعلاج معظم الأمراض بما فيه أمراض القلب .. والطبيب ينصح أولئك الذين لا يتحركون إلا خطوات قليلة لأن المال يرفع عنهم المشقة .. بالمصعد والسيارات الفاخرة .. والخدم .. والحشم الذين يوصلون إليهم كل شيء وهم جالسون فى أماكنهم .. لا يتحركون .. ينصح هؤلاء بأن يسيروا ساعة أو ساعتين كل يوم .. لأن هذا هو أساس الصحة .. والهواء الطلق الذى يوجد فى الأماكن الخاوية البعيدة .. هو الهواء النقى غير الملوث .. لم تفسده يد الإنسان .. وهكذا كانت الصحة فى قلة الطعام غير الدسم .. وفى المشى خصوصاً فى الأماكن ذات الهواء الطلق .. وفى عدم الإسراف فى أى شيء .. وهذا متاح للبشر جميعاً .. غنيهم .. وفقيرهم .. بل ان حكمة الله سبحانه وتعالى فى أنه ما من نبى إلا ورعى الغنم .. تزينا فى أحد

جوانبها قواعد الصحة التى يدفع بعض الناس الآن عشرات الألوف من الجنيهات ليصلوا إليها .. وراعى الغنم لا بد أن يسير على قدميه فترة طويلة فى هواء نقى غير ملوث .. وهو لا يستطيع أن يحيط نفسه بأولئك الذين يعدون له الطعام الفاخر الدسم .. ومن هناك فهو يبقى صحيحاً سليماً معافى .. حتى يأتى أجله ..

وبالرغم من هذا يبقى الطمع البشرى بلا حدود .. بل إن الذى يملك مالا لا يستطيع أن ينفقه فيما بقى من عمره .. لا يكتفى بذلك .. وإنما يريد أكثر وأكثر .. والنفس إذا هوت المال بدأت المفسدة .. فأنا اسرق لأ حصل على المال .. وأشهد الزور لأنال بعض المال .. وأقول غير الحق .. وأعمل بغير ما يرضى الله .. وأخدع .. وأغش .. وآكل حقوق الناس .. كل ذلك لأحقق لنفسى ما وعدنى الشيطان به كذبا .. وهو ملك لا يبلى .. أى مال لا ينتهى ولا يفنى مهما مر الزمن .. مع إننى لو كنت مؤمنا عن يقين لعلمت أننى لن أصل بعلمى إلا إلى الرزق الذى قسمة الله لى .. ولآمنت أن الله يرزق من يشاء .. وإننى لو اتجهت إليه لا عطائى الرزق .. ومنحه لى .. والرزق الحرام لو صبرت عليه قليلًا وعملت لأوصلنى الله إلى المال الحلال .. لأنه مقسوم لى ..

ومن هنا فإننى أظلم نفسى حين أرتكب السوء .. وانطلق متبعا هوى النفس .. ذلك أننى فى الحقيقة لا أصل إلى شئ إلا الذنب .. ولا أكسب شيئا إلا الخطيئة .. على أن هناك من يرتكب من السيئات مقابل الحصول على متع عاجلة .. ومن يظلم نفسه .. والمعنى هنا ليس واحدا .. الكلمة ليست مرادفة .. بل إن الفرق كبير بين المعنيين .

إن هناك من يرتكب السوء .. ومن يظلم نفسه .. وبعض الناس يظن أن استخدام اللفظين فى القرآن الكريم .. ظلم النفس .. وارتكاب السوء ملتزمان فى المعنى .. فإن من يرتكب سوءا ومعاصى .. إنما يقود نفسه إلى الهلاك فى الدنيا وفى الآخرة .. ولكن الذى يرتكب السوء يفعل شيئا .. والذى يظلم نفسه يفعل شيئا آخر .

الذى يرتكب السوء .. يرتكب المعاصى لفائدة عاجله .. تزين له نفسه أنه سيحصل بها على شئ .. فالذى يسرق مالا مثلا .. يريد فائدة عاجلة بأن يتمتع بانفاقه .. الذى يأخذ حقوق غيره .. إنما يحصل على فائدة عاجلة يأخذ مالا جهد له فيه .. ولا حق له فيه .. والذى يقوم بمعصية .. إنما يحصل على لذة عاجلة تنتهى بسرعة .. ويبقى الذنب ..

ولكن الذى يظلم نفسه .. إنسان آخر تماما .. إنه لا يفعل ذلك للحصول على فائدة عاجلة .. ولكنه يرتكب المعصية دون أن يستفيد فالإنسان الذى يشهد زورا مثلا ليضر إنسانا آخر .. قد ظلم نفسه .. ارتكب أثما .. ولم يتمتع بشئ .. والإنسان الذى يمنع الخير عن الناس .. لمجرد منع الخير حسدا أو حقدا .. إنسان ظلم نفسه .. ذلك أنه لم يعطها شيئا .. وإنما أعطاها الذنب .. والإنسان الذى يحاول أن يفرق بين المرء وزوجه .. وبين الابن وأبيه .. وأن يهدم اسرة .. أو يهدم عملا ناجحا .. دون أن يستفيد هو شيئا .. إنسان ظلم نفسه .. لأنه أعطاها المعصية .. ولم يعطها شيئا .. وهذه هى **النفس الأمارة** بالسوء .. أى أنها تجد لذة حياتها فى السوء الذى يصيب الآخرين .. تجد لذة لحياتها فى أن تهدم بيتا سعيدا .. أو تمنع رزقا عن إنسان .. أو تضيع حقا على صاحبه .. أو تقدم شهادة زورا تضع بها إنسانا فى ضرر بالغ .. وهى تفعل ذلك ليس بدافع الفائدة الشخصية .. ولا الضعف البشرى .. ولا الحصول على

شئ من متاع الدنيا .. ولا كل ما يقتتل عليه البشر من تفاهات الحياة المادية .. كل هذا لا تحصل عليه .. ولكنها تحصل على السيئات وحدها .. وهذه النفس تورد صاحبها التهلكة دون أن تعطيه شيئا .. وصاحبها يكون فى داخل نفسه .. قلقا .. حائرا .. لا ينام الليل .. كالنار يأكل بعضها بعضا .. قد يكون فى قمة الغنى .. وقد يكون ليس محتاجا لشئ أعطاه الله من خيرات الدنيا ما يعجز عن انفاقه بقية عمره ، ولكنه مع ذلك يظلم نفسه فى أنه يفسد فى الأرض .. وينشر السوء .. ويندفع إلى ما فيه ظلم البشر .. دون أى هدف إلا السوء نفسه .. وهذه النفس لا توجد فى إنسان فى قلبه إيمان .. ذلك أن الإيمان يدخل فى القلب الرحمة .. ويدخل فيه الخوف من الله .. ويدخل فيه خشية يوم القيامة .. ويدخل فيه أن الله يسمع ويرى .. إذا كانت هناك ذرة من الإيمان فى النفس .. فإن هذه المعانى توجد فيها .. أما النفس الأمارة بالسوء فليس فيها رحمة .. ولا فى القلب خشية .. وليس هناك خوف من يوم الحساب .. ولا هناك احساس بأن الله يسمع ويرى ومن هنا فإن هذه النفس البشرية لا يكون فيها ذرة من إيمان .. وهى لا تحس بجمال هذا الكون .. ولا تتمتع بالحياة رغم ما قد يحيط بها من مظاهر النعيم الدنيوى .. ذلك أنها تعيش فى شقاء داخل النفس .. وضعة عدم الإيمان .. وفى شقاء خارج النفس من كل من يحيط بها يجب أن يكون شقيا .. وأن يناله الاذى .. ومن هنا فإننا عند ما نقول إن هذا الإنسان قد ارتكب اثما .. ونقول إن هذا الإنسان قد ظلم نفسه .. لا نعنى نفس الشئ .. الله سبحانه وتعالى قد وضح لنا معنى ظلم النفس .. ومعنى ارتكاب الاثم .. وبين لنا الفرق بين الاثنين .. والإعجاز فى القرآن أن كل لفظ له معنى دقيق يعبر عنه .. ولا يخرج التعبير عن هذا المعنى ..

وهناك النفس اللوامة .. تلك التى تلوم صاحبها على الاثم .. وتدفعه إلى الخير .. وتجعله يحاسب نفسه .. وهذه النفس هى التى يختلط فيها عمل الخير .. والاثم .. هذه النفس فى كثير من الاحيان تصل إلى الهدى .. أو إلى النفس المطمئنة التى وعد الله بها المؤمنين .. وهى تحث صاحبها دائما على فعل الخير .. ولكن صاحبها إنسان ضعيف .. يأخذه الهوى مرة .. فيرتكب اثما .. ويندم عليه .. فيتجه إلى عمل صالح .. ثم يغلبه هواه .. وهذا يظل فى صراع حتى ينتصر احدهما على الآخر ..

نأتى بعد ذلك إلى النفس المطمئنة تلك التى أعطاها الله سعادة الدنيا والآخرة .. والنفس المطمئنة هى نفس اطمأنت إلى قول الله وعدله .. أطمأنت إلى قدرته وقوته .. اطمأنت إلى علمه ووجوده ..

وهذه النفس تطمئن إلى عدل الله ..فهى تعلم أنه لا يوجد ظالم

النفس المطمئنة إلى قول الله وعدله .. تعرف يقينا أن ما وعدها الله به سيتحقق .. وهى تعلم يقينا أن قول الله هو الحقيقة الخالدة .. ومن هنا فهى تعلم أن الله يدافع عن الذين آمنوا .. وأن الله وعد فى كتابه العزيز هذه النفس بالحياة الطيبة فى الدنيا والآخرة .. وقال فيها (نحن أولياؤكم فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ولكم فيها ما تشتهى أنفسكم ولكم فيها ماتدعون نزلًا من غفور رحيم) وهى فى اطمئنانها هذا لا تخشى شيئا .. ذلك أنها تعرف أنها اختارت الطريق الصحيح .. فإذا منع الله عنها شيئا تهواه .. أو شيئا تريده .. فلأنه يريد أن يعطيها خيرا منها .. وأن الله سبحانه وتعالى فى منعه هذا الشئ .. رغم ما يحيط به من بريق الدنيا .. هو أعلم منا جميعا بالخير والشر .. ومن هنا فإن كان قد منع خيرا نعرفه .. فأنه يريد أن يعطينا خيرا أكثر منه لا نعرفه .. وإذا منع عنا شيئا نريده ..

فلأنه يريد أن يعطينا شيئا أحسن منه .. لا تصل إليه إرادتنا وعلمنا فى هذه اللحظة .. فقضاء الله بالنسبة لهذه النفس هو خير دائما .. خير فى المنع .. وخير فى العطاء .. خير التيسير .. خير فى التيسير وخير فى عدم تيسير الأمور .. خير فى كل ما يأتى به .. لأن الخيرة فيما اختاره الله .. ولأن النفس لا تستطيع أن تخترق حجب الغد لتعلم الخير والشر .. وتستطيع أن تصل إلى الحكمة من كل شئ .. يحدث .. والإنسان فى تعقله فى كثير من الأحيان يرى الشر خيرا .. ويحسب السوء منفعة .. ولكن الأحداث عندما تتضح .. والزمن عندما يمر يرينا الله الحكمة فيما أعطى .. والنفس المطمئنة لقضاء الله تعلم أن الله ولى الذين آمنوا .. وأن الله يحب عباده المؤمنين ويدافع عنهم .. وأن الله فى قضائه مع النفس المؤمنة .. إنما يريد أن يمنع عنها شراً لا تراه .. أو يعطيها خيراً أكثر من الذى تمنته .. وفى الحالتين فإن قضاء الله هو الخير ..

يستطيع أن يفلت من عقاب الله ولا يوجد قوى متجبر هو فوق قدرة الله وقوته .. ومن هنا فهى تلجأ للأقوى الذى تعرفه .. وليس للضعيف الذى يبدو أمامها قوياً .. ولا لمن أعطاه الله فظلم الناس بما أعطاه الله له .. إنها تتجه إلى المنعم الحقيقى .. وليس إلى حامل النعمة .. وتلجأ إلى العادل الحقيقى .. وليس إلى الإنسان الذى يتبع هواه .. والعدل صفة من صفات الله سبحانه وتعالى لا يصل إليها البشر ولا يستطيعون مهما دققوا وبحثوا أن يصلوا إلى العدل الحقيقى . ولكن قدرة الله سبحانه وتعالى هى التى تستطيع .. ومن هنا فمهما كان الظلم قاسيا فهى تثق أن عدل الله أكبر .. وأن عدل الله موجود ..

والنفس المطمئنة تثق فى قدرة الله وقوته .. ومن هنا فإنها لا يهمها ما

يعطى البشر .. وما يمنعون من ظاهر الحياة الدنيا .. ذلك أنها تعرف جيداً أن الله قادر على أن يعطيها إذا سألت .. وأن الله قريب يسمعها .. وأن الله قوى يستطيع أن ينتقم لها .. وهى فى هذا كله تحس بالاطمئنان يملأها مهما كان الظلام حولها لا تؤرقها الدنيا ابداً .. ولا تهزها الأحداث مهما جرت .. بل ينزل الاطمئنان إليها .. إيمانا ويقينا بأن الغد يحمل مما فى قدرة الله ما سيزيح وينهى كل ظلم وقع .. وكل إحجاف تم .. وهى فى هذا مطمئنة إلى أن الحق يهزم الباطل .. والخير يهزم الشر .. والظلم ليس له أقدام .. وسرعان ما يزول .. والله نسأل أن يهدينا جميعاً صراطه المستقيم ..



الله سبحانه
بيده الأسباب والمسببات



الله سبحانه ..
بيده الأسباب والمسببات

هناك ثلاثة أنواع من النفس البشرية يمكن تحديد إطارها بشكل مبدئى .. النوع الأول هو النّفس الأمارة بالسوء ..وصاحب هذه النفس يقودها إلى الهلاك .. أو إلى العذاب دون أن تستفيد شيئاً .. هذه النفس تتمثل فى أولئك الذين يفعلون الاثم لمجرد الاثم .. ودون الحصول حتى على متاع الدنيا الوقتى .. والأمثلة أمامنا كثيرة .. ذلك الذى يرسل شكوى كيديه فى زميل له .. وهو يعرف أنها غير صحيحة .. وذلك الذى يشهد زورا أو يقول كذباً ليمنع خيرا عن إنسان .. وذلك الذى ينقل الأقوال الكاذبة ليوقع بين البشر .. وذلك الذى يعد تقريرا مليئا بالأكاذيب ليقدمه ضد إنسان غيره .. وذلك الذى يحاول أن يشوه أى عمل يقوم به أى انسان لمجرد أن يهدمه .. صاحب هذه النفس الذى يقوم بهذا لا يستفيد شيئا .. فهو لا يمنع الخير ليأخذه .. ولا يوقف ترقية زميل له لانه سيرقى .. ولا يرسل شكوى كيديه لينصر حقا .. أو ليحقق فضيلة .. وانما هو فى ذلك كله يحاول أن يكون مناعا للخير .. دون ان يستفيد شيئا ..

والنفس الثانية هى النفس اللوامة .. التى تلوم صاحبها على الاثم .. وتدفعه إلى الخير .. وتجعله يحاسب نفسه .. هذه النفس يختلط فيها الخير

والاثم .. وتتغلب فيها الطاعة مرة .. والمعصية مرة .. وهى فى صراع دائم بين ما يجب أن تفعله .. وما يجب الا نفعله .. وهذا الصراع يظل موجودا حتى ينتصر احد جانبى النفس على الجانب الآخر ..

وهناك النفس المطمئنة .. تلك التى أعطاها الله سعادة الدنيا والآخرة .. فاطمأنت إلى قوله وعدله .. وقوته وقدرته .. وعلمه ووجوده .. اطمأنت إلى أن الله حق .. وان الآخرة حق .. وأن الدنيا حق .. فعملت بكل منها .. واطمأنت إلى أن الله ينصرها لأنها اختارت الطريق الصحيح .. وأطمأنت إلى قضاء الله .. ما أعطاها خير .. وما منعه عنها .. فلأنه يريد أن يعطيها ما هو أحسن منه .. قضاء الله بالنسبة لهذه النفس هو خير فى المنع .. وخير فى العطاء .. وحين تؤمن أن الله يدافع عن الذين آمنوا .. وأنه يحب عباده المؤمنين .. وأنه رحيم فى قضائه مع النفس المؤمنة .. وهى تؤمن أنه لا يوجد ظالم أقوى من عدل الله .. ولا جبار يعلو على قدرة الله .. ولا مفسد فى الأرض يفلت من عقاب الله.. ومن هنا فهى تعلم حين ترى الظلم أن العدل قادم ..وحين تحس بالجبروت .. أنها بداية النهاية .. حين ترى المفسدين فى الأرض أن قضاء الله قريب ..

ان النفس المطمئنة تثق فى قدرة الله وقوته .. ومن هنا فهى تحس بالاطمئنان يملأها مهما كان الظلام حولها .. وهى تؤمن أن الغد يحمل ما سيزيح ظلما وقع .. وينهى إجحافا تم .. وهى مطمئنة أن الحق يهزم الباطل .. والخير يهزم الشر .. وأنه ما من معركة بين حق وظلم استمرت طويلا .. فالظلم ليس له أقدام يقف عليها .

ولكننا فى كثير من الأحيان ننظر إلى الأشياء بمنظار آخر .. فنحن نرى فى بعض ما يحدث اجحافا .. ونحن نريد أن نصل إلى ما نحققه دون

أن نعمل .. ودون أن نمتحن .. مع أن الجمال فى الحياة هو أن تأخذ ناتج عملك .. فلو أن الطالب الذى لا ينظر فى كتاب طوال العام نجح .. لا نعدم الجمال في الحياة .. وانعدمت معه قيمة العمل .. ولو أن الإنسان الذى يعمل فى زراعة حقله .. ويتعب ويشقى طوال العام .. يصل إلى نفس المحصول الذى يصل إليه من لم يذهب إلى أرضه مرة واحدة لا نعدم الجمال فى الدنيا .. ولا نعدم العمل .

وفى هذا الكون .. هناك أشياء تفعل لك .. وهناك أشياء تفعل بك .. فالشئ الذى يفعل لك فى الكون يستوى فيه الناس جميعا .. كافر ومسلم .. يستوى فيه الناس كل الناس .. هذه الأشياء هى : كالشمس مثلا .. الشمس تشرق كل صباح ولا تخص بنورها كافرا أو مسلما .. أو شاكرا لله .. أو جاحدا بنعمه .. كلهم سواء .. عطاء الشمس للجميع .. سـواء .. وهى لا تفرق بين شخص وشخص .. والهواء مثلا تتنفسه كل الكائنات الحية دون أى تمييز .. والماء مثلا يشرب منه كل كائن حى بصرف النظر عن دينه وعقيدته وإيمانه بالله أو كفره .. هذه الأشياء تفعل ذلك كثيراً .. الشمس تعطينا النور والطاقة وأسباب الحياة إلى آخر ذلك .. والهواء يعطينا أسباب الإستمرار فى الحياة .. والماء يعطينا الحياة نفسها .. « وجعلنا من الماء كل شئ حى » .. فهذه الأشياء .. تفعل لك بلا تمييز .. أى أنها لا تميز فى عطائها بين عاص .. وعابد .. ومؤمن وكافر ..

نأتى بعد ذلك إلى الأشياء التى تفعل بك .. وإرتقاء الإنسان في الكون. يتم فيما ينفعل بك لا فيما ينفعل لك..ان ما ينفعل بك ان فعلت فيه ينفعل .. إذا حرثت الأرض حرثا جيدا ثم وضعت فيها البذرة ثم

واظبت على رعايتها تعطيك ثمرا جيدا .. وان بحثت عن المعادن الصالحة لحياة الإنسان فى باطن الأرض .. تعطيك معادنها .. ولو لم تفعل فانها لن تنفعل معك .. فالذين يعملون ويجدون فى الاشياء تنفعل معهم ..

والذين لا يقومون باى جهد مع الاشياء التى تنفعل للإنسان فى الأرض لا يتقدمون..ويظلون متأخرين..وهنا يحدث الخلاف بين ارتقاء عدد من الناس .. وتخلف عدد منهم .. يحدث هذا الخلاف فى التعامل مع الاشياء الموجودة فى الكون التى تنفعل بك .. ولا دخل للدين فى هذه المسألة .. فالأشياء التى تنفعل لك .. كالشمس والهواء والماء .. وما فى الارض .. لا تفرق فى عطائها بين مؤمن وكافر وملحد .. والأشياء التى تنفعل بك .. والتى يجب أن نقدم لها عملا لتحصل على النتيجة .. هذه الأشياء أيضا لا تفرق بين مسلم وكافر وملحد .. فالكافر الذى يحسن حرث أرضه ويرويها .. يحصل على أجود أنواع البذرة .. والذى يتعهد الزرع .. يجنى محصولا وفيرا .. والمؤمن الذى يهمل الأرض ولا يزرعها ولا ينفعل معها لا تعطيه الثمرة لأنه لا يطبق قوانين الكون .. ولا يعمل لينفعل مع الأشياء التى تنفعل فى الدنيا .. والملحد أو الكافر الذى يستخدم أحدث الأساليب العلمية .. ويجد ويسعى ليكشف عن المعادن فى باطن الأرض .. تظهر له هذه المعادن .. لأنها تنفعل به .. والمؤمن الذى يترك المعدن فى باطن الأرض .. ولا يبحث عنه .. لا ينفعل به .. ولا يخرج له ..

تلك حقيقة كونية يجب أن نعيها جيدا .

ولقد جعل الله ما على الأرض زينة لها .. ليجذب الإنسان إلى العمل .. فما هى الزينة فى حقيقتها .. هى ما يخلع على ذاتيات الأشياء

ليجعلها أكثر جاذبية .. فالمرأة مثلا تتزين لتصبح أكثر جاذبية للرجل .. وزينة الأرض هى أن تصبح أكثر جاذبية للإنسان ليعمل .. فالإنسان حين يرى حديقة جميلة .. أو عمارة فخمة .. يتمنى أن يبنى أو يعمل مثلها .. فتكون هذه الزينة حافزا له للعمل .. فكان الله قد جعل ما على الأرض زينة لها ليجذبنى إليها .. ثم بعد ذلك هل تكون هذه الزينة هى الغاية .. أم لا تكون .. وهنا الابتلاء .. ويقول الله سبحانه وتعالى : « هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها » .. معنى استعمركم .. أى طلب منكم عمارتها .. وذلك لا يتأتى إلا بأمرين ..أن تبقى الصالح على صلاحه .. لا تفسده .. وأن تصلح الفاسد وتزيد اصلاحه .. وأقل ما تأمر به هذه الآية .. هو انك لا تأتى للصالح وتفسده .. معنى استعمر الأرض .. أى ابقى الصالح على صلاحه .. أو زاد فى اصلاحه ..

والله يخاطب الشئ بالقوة والشئ بالفعل .. زينة الله على الأرض من اثرين .. آثار خلق الله والطبيعة التى وهبها لنا .. وآثار ما فعله الإنسان بما علمه الله له .. ليضيف إلى ذلك .. وعندما نقرأ فى سورة الكهف « ويسألونك عن ذى القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكرا .. انا مكنا له فى الارض وآتيناه من كل شئ سببا فأتبع سببا » .. ومعنى ذلك أننا أعطيناه اسباب المتعة والقوة والحكم فى الأرض .. ولكنه لم يقتصر على ما أوتى .. لم يقتصر على ما فعل له .. اتبع هو سببا .. فيما ينفعل له .. ولقد أورد الله هذه الآية الكريمة ليقول لنا : إن الإنسان مهما يعط لا يجب ان يكتفى بما أعطى له .. ولا يفعل شيئا .. بل يجب أن يأخذ هذا العطاء ..ويعمل من اجل ان يضيف إليه .. وينفعل به مع العناصر التى خلقها الله لتنفعل بعمل الإنسان فى الأرض .. وذلك مصداقا للحديث الشريف : لا خير فيمن لا يضيف .. والإضافة هنا بمعناها العام .. أى أنه أنت أن

استفدت من الكون وجعل الله الكون فى خدمتك .. فلا بد أن تعطى عطاء للكون تضيف إليه شيئا .. والا أصبحت الحياة جامدة وغير متحركة .. ولا متطورة .. وتوقف تطور البشرية ونموها .. إذ ان الحياة تتطور من أن يضيف الإنسان من ذاته ما تفاعل به مع بيئته .. ومع الكون ليصنع شيئا جديداً .. أى أن الله سبحانه وتعالى ينهانا أن نقف أمام قطعة من الأرض..ولا نفعل شيئا..ننتظر المطر ثم يظهر النبات أى نبات .. فتأكل منه .. أو ترعى منه الماشية .. ثم بعد ذلك لا شئ .. لا بد ان يعرف الإنسان ويدرس كيف يحرث هذه الأرض .. وما هى النباتات الصالحة لها ليحصل على أجود النتائج .. لا بد أن يتعلم كيف يجعل هذه العناصر التى خلقها الله فى الأرض لتنفعل به .. وتعطيه أحسن النتائج وهذا معنى الآية الكريمة .. فأتبع سببا .. أى أنه لم يقف ولم يقتصر على العطاء الذى أعطى له من الله ..

والذى يجب أن نعرفه .. أن منازل الدنيا لا علاقة لها بالآخرة .. فقد يكون رجلا ذا جاه ومال فى الدنيا .. أخذ من نعم الأرض الكثير .. ومع ذلك مصيره النار .. وقد يكون رجلا ليس له حظ فى الدنيا رزقه يكاد يكفى قوته . هو من أهل الجنة .. تلك حياة .. وتلك حياة .. بل ان المترفين فى نعيم الدنيا هم عادة أكثر بعدا عن الله من غيرهم .. ولذلك ضرب الله عدة أمثال فى القرآن .. ولكن هذا لا يجب أن يلهينا عن الحقيقة .. وهى أن من يتبع القوانين التى وضعها الله فى الأرض .. بالنسبة للحياة الدنيا يأخذ نصيبه منها .. ومن يتبع قوانين الله بالنسبة للحياة الآخرة يأخذ نصيبه منها ..

وما أوضحت .. فان الله قد أمرنا أن نضيف من الأسباب التى

أعطاها لنا فى سبيل الرزق .. عملا لنحصل على أحسن النتائج .. وهذا العمل هو نوع من العبادة لأننا نطيع قوانين الله فى الأرض .. وهو أعطانا أسباب الرفعة فى الدنيا .. وفى الآخرة .. وعلينا أن نأخذ بهذه الأسباب .. ونعمل من أجل الدنيا ومن أجل الآخرة .. مصداقاً لقوله تعالى : « ولا تنس نصيبك من الدنيا » .. فإذا كان هناك تخلف فى الدول الإسلامية .. فالإسلام نفسه برئ من هذا التخلف .. لأنه وضع أمامنا كل أسباب الرقى والتقدم .. وطلب منا العمل فى الحياة الدنيا حتى تتحقق لنا ثمرة هذاالعمل ..فإذا كنا قد تركنا أسباب التقدم التى هى موجودة فى الإسلام فليس هذا عيب الإسلام .. وإنما العيب فى عدم تطبيق تعاليم الإسلام ..

واننى أعجب من بعض الناس الذين يفسرون التوكل على الله بأنه دعوة إلى عدم العمل والجهاد .. بينما هو فى الحقيقة دعوة للجهاد والعمل .. والتأكد من أن النتيجة طيبة .. لأن الله يبارك هذا العمل ويبارك هذا الجهاد .. الصادر من قلب المؤمن .. ولكن بعض الناس يريدون أن يضعوا فى الدين ما ليس فيه .. وإذا كانت المسألة هى أن نترك كل شئ لِلّه .. ولا نعمل .. فلست أدرى .. لماذا يتخلى هؤلاء الناس من مبدئهم فى أبسط الأشياء .. وهو الطعام والشراب .. فإذا عطش فهو يقوم ليشرب .. وإذا جاء الطعام .. فهو يأكل ويبذل جهدا فى تناول الطعام ومضغه .. فلماذا لا يترك كل هذا لقدر الله .. إذا كان المطلوب هو عدم العمل ولماذا يأتى إلى هذه النقطة بالذات .. ويضيف عملا إلى ما أعطاه الله ..

ان الله سبحانه وتعالى خلق لكل شئ فى الدنيا قانونا يعمل به ..

فالماء له قانون .. والنار لها قانون والأرض لها قانون .. والنجوم لها قانون .. وهذه القوانين تعمل بقدرة الله .. وبإذن الله .. الله سبحانه وتعالى قائم على ملكه .. مدبر الأمر فيه .. على أنه سبحانه وتعالى فوق الأسباب والمسببات .. والقوانين .. وبذلك فانه فى معجزاته لرسله قد خرق لهم القوانين .. فالماء قانونه الاستطراق .. ومع ذلك عندما ضرب موسى الأرض بعصاه .. انشق البحر وتعطل قانون الاستطراق .. والنار خاصيتها الاحراق .. ومع ذلك عندما القى إبراهيم فى النار تعطلت خاصية الاحراق .. وكانت النار برداً وسلاما على إبراهيم .. وقانون الحياة .. أن الإنسان إذا فارقها لا يعود إليها .. لكن الله سبحانه وتعالى خرق هذا القانون لعيسى عليه السلام فجعله يحى الموتى باذن الله .. إلى آخر ما جاء فى معجزات الرسل ..

على أن الله سبحانه وتعالى وضع معجزات تحدى بها البشر .. ومعجزات لم يتحد بها أحدا .. فمثلا خلق عيسى عليه السلام معجزة .. لم يتحد بها الله البشر .. ولم يطالبهم بالاتيان بمثلها .. ولكن كان المقصود بها هو اطلاق القدرة .. كذلك معجزة شق موسى البحر بعصاه لم يتحد بها الله احدا ولكنها كانت لاطلاق القدرة ..

على أن معجزات الله سبحانه وتعالى تختلف عما يستطيع أن يقدمه البشر .. أو العلم البشرى من طاقات أو معجزات .. والعلم البشرى لا يستطيع أن يخلق من الضعيف قويا .. ولا من العاجز قادرا .. ولكن الإنسان يستطيع أن يقوم بالعمل .. عن الشخص نفسه .. بمعنى أننى إذا رايت شيخا ضعيفا وامامه حمل ثقيل .. فكل ما استطيع أن أفعله .. هو أن أحمل عنه هذا الحمل .. أو آتى له بآلة أو ونش يحمله .. ولكننى

لا استطيع ولا يستطيع بشر أن يبدّل هذا الشخص الضعيف الطاعن فى السن .. بشخص قوى يستطيع هو أن يحمل هذا الحمل .. ولكن الله سبحانه وتعالى هو القادر على أن يخلق من الضعف قوة .. وأن يجعل الطير تهزم جيشا ضخما من الأفيال فى عام الفيل .. وأن يعطى قدرة السحر لموسى فيغلب السحرة .. ثم يعطيه قدرة شق البحر .. فيضرب الأرض بعصاه فينشق البحر .. وهو يعطى لعيسى القدرة على شفاء المرضى واحياء الموتى بمجرد الاشارة .. ويعطى لابراهيم أن يقطع الطير .. ثم يدعوها فتسعى إليه .. وقد عادت إليها الحياة .. كل ذلك يتم باذن الله ومن معجزاته .. ولكنه لا يمكن أن يتم بعلم بشر .. ومن هنا فانك إذا رأيت شخصا ضعيفا لا حول له ولا قوة يهزم شخصا من أقوى رجال العالم نفوذا وقوة .. فاعلم أن هذه معجزة من عند الله .. وأنها أمر من أمر الله .. ذلك أنه هو وحده القادر على أن يخلق من الضعيف قوة ..

وهكذا وضع الله سبحانه وتعالى قوانين فى الأرض لكل شئ .. وجعل الأسباب والمسببات فى يده .. ولكن كل شئ يمضى بالقانون الذى وضعه الله له .. فإذا أراد الله سبحانه وتعالى بحكمه هو يعلمها أن يعطل هذا القانون .. أو يأتى بعكسه .. فإنه يقول كن فيكون ...

ولقد نبهنا الله سبحانه وتعالى فى القرآن إلى أشياء لم يكشفها إلى العقل البشرى الا خلال الفترة الأخيرة .. فقال الله : « له ما فى السماوات وما فى الأرض وما بينهما وما تحت الثرى » .. وكان لا بد للعقل البشرى أن يتنبه لكلمة « ما تحت الثرى » .. إلى أن هناك كنوزا وثروات قد وضعها الله سبحانه وتعالى تحت سطح الأرض .. ولكن الإنسان فى وقت نزول القرآن لم يتنبه إلى الآية « وما تحت الثرى » ولم يفطن إلى أن

الله قد وضع من الثروات ومن الأشياء فى باطن الأرض .. بقدر ما وضعه فوق سطحها .. وربما أكثر .. ثم تقدم العلم .. وحدثت الزلازل والبراكين .. وخرج ما تحت الثرى إلى ما فوقها ليكشف الإنسان بقدرة الله عن الكنوز التى وضعها الله تحت الثرى .. فعرفنا المناجم .. والمعادن المدفونة فى باطن الأرض .. وعرفنا البترول .. وبدأ الإنسان يبحث فى معنى الآية الكريمة « وما تحت الثرى » .. وفى كل يوم يكتشف جديدا لم يصل إليه علم .. وهكذا كانت الآية التى ذكرها القرآن تمس حقيقة كونية كبرى .. هى أن الرزق فى الأرض .. والخير الذى وضعه الله فيها .. لا يوجد فقط فوق السطح .. ولكن يوجد تحت سطح الأرض أيضا .. وتلك معجزة قرآنية بدأت تتكشف للعالم .. والآن تقوم الدول الصناعية الكبرى بانفاق الملايين من الأموال .. والبحث عن الثروات الموجودة تحت الثرى ..

على أن الله سبحانه وتعالى حين وضع القوانين فى الأرض .. جعلنا نعرف بعضها .. وأخفى بعضها عنا .. وجعل بعضها يعرف بآثاره دون أن نصل إلى حقيقة .. فالجاذبية الأرضية مثلا هى حقيقة علمية نعرف جميعا آثارها .. ولكننا لا نستطيع أن نصل إليها .. رغم أنها موجودة ومؤثرة فى حياتنا اليومية .. فأنت حين تذهب إلى المعمل ليشرح لك الاستاذ الجاذبية الأرضية .. ويأتى بقطب ممغنط .. ويضعه أمامك .. وقطب آخر غير ممغنط لا تستطيع أن تقول أيهما فيه الجاذبية .. وايهما ليست فيه الا إذا قمت بالتجربة .. وإذا نقلت الجاذبية من قطعة حديد إلى قطعة أخرى .. فأنت لا ترى ماذا يحدث فى جزئيات القطعة التى لم تكن ممغنطة .. ثم أصبحت كذلك .. انك لا ترى الجزئيات وهى تتأثر بالمغناطيسية .. ولكنك حين تقرب قطعة الحديد بعد ذلك من معدن

معين .. تجدها تجذبه .. ومن هنا فإنك تعرف الشئ بآثاره دون أن تستطيع أن تدرك ما هو .. وما ينطبق على الجاذبية .. ينطبق على الكهرباء .. فأنت لا ترى التيار الكهربائى وهو يمضى فى أحد الاسلاك .. ولكنك إذا وضعت مصباحا فى آخر السلك وأوصلته به .. حصلت على الكهرباء .. ولكن منظر السلك الناقل للكهرباء لا يستطيع أن يدلك .. أو أن ينبئك إذا كان فيه تيار كهربائى أم لا ..

ولقد جاءت هذه الحكمة لتقرب للعقل البشرى ما هو غيب عنه .. ولكى يستطيع أن يعرف بآثاره .. وذلك حتى يطمئن هذا العقل إلى أنه من الممكن أن يعرف الشئ برؤيته .. ومن الممكن أن يعرف الشئ برؤيته .. ومن الممكن أن يعرفه بآثاره وأفعاله دون أن يراه .. والعجيب أن عددا كبيراً من الناس يؤمن بالجاذبية .. ويأخذها على أنها حقيقة علمية .. ولا يجادل فيها .. ثم يجادل فيما قاله الله سبحانه وتعالى .. لأنه يعرفه بآثاره .. دون أن يراه .. وهذه هى حماقة العقل البشرى .. أو ما نطلق عليه (هوى النفس) .. فالجاذبية الأرضية مثلا .. أو الكهرباء .. شئ لا يمنع الإنسان مما يريد أن يأخذه ظلما من إنسان آخر .. أو مما يريد أن يستمتع به حراما .. أو مما يريد أن يحصل عليه من حقوق الآخرين .. أو يتميز به على الناس بغير عمل ولا جهد .. ومن هنا فان هذه الحقائق الأرضية لا تتصادم مع أهواء النفس البشرية .. ولا مع شهواتنا .. ولذلك فان الإنسان يعترف بها عن رضى واقتناع .. لأنها لا تسلبه شيئا يريد تحقيقه .. والطمع البشرى بلا حدود .. فإذا أتينا إلى أوامر الله سبحانه وتعالى .. نجد أننا بدلا من أن نأخذ بآثارها فى أنها تخلق المواطن الصالح .. والإنسان الذى يسود الأرض .. وتعطينا الحياة الطيبة فى الدنيا والآخرة .. نجد أننا بدلا من أن نأخذ بهذه الآثار والنتائج .. ونرى

اتباع ما قاله الله صلاحا للنفس والمجتمع .. وبعدا عن القلق والخوف .. والحياة التى يملأها الرعب داخل النفس .. وعبادة الفرد .. نحن لا نناقش كل هذا .. نتركه محاولين أن تكون لنا عقول مساوية لقدرة الله سبحانه وتعالى .. بحيث نستطيع أن نناقش هذه الأشياء مناقشة بدون علم .. وفرق هائل بين علم الله وعلم البشر .. ونمضى فى طريقنا .. أو يمضى بعض الناس فى طريقهم إلى أبعد من ذلك .. فهم يضعون عقولهم فوق قدرة الله سبحانه وتعالى .. محاولين كما يدعون سفها وزيفا أن يعدلوا ويبدلوا ما شرع الله .. وكأنهم يملكون من القدرة والعلم ما هو فوق قدرة خالق السموات والأرض

على الإنسان الذى يجادل فى قدرة الله .. ويخترع للنظريات .. فهذه شيوعية .. وهذه اشتراكية .. وهذه راسمالية .. ومذاهب أخرى كثيرة يشرعونها محاولين ان يقيموا بها عن جهل وسفاهة .. مجتمعا يدعون أنه أفضل من ذلك .. المجتمع الذى وضع الله قواعده .. وفى هذه الحالة يجب أن نفهم أن هناك نوعين من النظريات .. وأن نفرق بينهما .. النوع الأول هو نوع يتعب صاحبه .. وتستفيد منه البشرية كلها .. هذا النوع هو الاختراعات العلمية المعتمدة على الابحاث المعملية .. فالإنسان الذى يقضى سنوات طويلة من حياته داخل معمل من المعامل .. ليخترع راديو .. أو تليفزيون .. او تليفون .. أنما يعانى هو حتى يصل إلى اختراعه .. فإذا تم الاختراع استفادت منه البشرية كلها ..

أما النوع الآخر من النظريات البشرية .. فهو النظريات التى تتبع هوى النفس .. ففي هذه الحالة فان صاحب النظرية هو الذى يتمتع ويقوى نفوذه .. ويزداد جاها ومالا وسلطانا .. بينما يعانى .. منها المجتمع .. فأى

فلسفة معينة .. لنظرية سياسية أو غيرها .. انما يستفيد منها صاحبها لأنها تنبع من هوى النفس .. أما الذين يتبعونه فهم الذين يعانون ويكابدون .. وحولنا فى الدنيا كلها .. وفى كل بلد من بلاد العالم أصحاب نظريات سياسية تخالف ما شرع الله .. هم يتمتعون .. والشعب يعانى من الارهاب والبطش والظلم والتعذيب ..

والإنسان فى هذا الذى يشرعه .. أنما ينسى خلقه .. واعجاز الله سبحانه وتعالى فى الخلق .. فلو أن الإنسان عرف أن قدره وحياته .. وهل هو شقى أم سعيد .. وكل ما سيصيبه فى الحياة الدنيا إلى يوم الساعة .. مكتوب على نطفة صغيرة لا يمكن أن ترى بالعين المجرده .. لعرف وعلم مدى قدراته بالنسبة لقدرة الله سبحانه وتعالى الذى وضع كل هذا العلم فى شئ لا يصل حجمه إلى جزء صغير من المليمتر .. ولعرف أن سجل حياته كلها موجود فى هذا الحيز الضيق بقدرة الله سبحانه وتعالى .. ونحن حين يخترع إنسان جهازا صغيرا دقيقا يمكن أن يؤدى عمليات معقدة مع صغر حجمه نهلل لهذا الاختراع .. ولكننا فى الحقيقة يجب أيضا أن نسجد لقدرة الله الذى استطاع أن يضع كل حياة البشر فى حيز لا يذكر .. وأن نعرف أننا مع تقدم العلم هناك فرق رهيب .. بين القدرة البشرية .. وبين قدرة الله سبحانه وتعالى التى يحاول الانسان أن يجادل فيها ...

واذا كان الله سبحانه وتعالى قد كتب على نفسه الرحمة فلانه خبير بعباده .. لطيف بهم .. فكفر إنسان بربه جريمة يستحق عليها عذاب الدنيا والآخرة .. ولكن الله فى رحمته بخلقه يفتح باب التوبة مرات ومرات .. ويغفر ويسامح .. ويعطى الإنسان الفرصة بعد الفرصة حتى

ساعة الموت .. عله يدرك الاعجاز فى هذه الدنيا.. ويدرك عجز العقل البشرى أمام قدرة الله .

على أن النفس البشرية فى حياتها كلها متعلقه بالله سبحانه وتعالى .. حتى تلك النفس التى ظلمها صاحبها فهى تتوق إلى الله وتسعى اليه .. وفى لحظات عندما تجد نفسها عاجزة امام قدرته .. ترفع يديها إلى السماء وتصيح يارب .. ويكون عدلا ألا تفتح أبواب السماء ولكن رحمةالله تفتح أبواب السماء وتتنزل على العاصين لتريهم طريق التوبة .. « والله نسأل أن يهدينا جميعا إلى صراطه المستقيم » .



الله سبحانه
لطيف بعباده



[الله ... لطيف بعباده]

الأشياء يجب أن تنسب الى الفاعل لتستطيع أن تدرك معناها .. فاذا قلت إن طفلا ضربنى بكل قوته .. وقلت إن أقوى رجل فى العالم ضربنى بكل قوته فالفعل واحد .. ولكن الفرق بين الفاعلين كبير .. واذا كان هذا فى قوانين البشر .. فما بالك بقدرة الله ..

يأتى هؤلاء المضلون محاولين استغفال عقول البشر .. واثارة قضايا لا تتفق أو تتصادم مع ظاهر العقل البشرى .. والله سبحانه وتعالى قد جعل لكل قضية تتصادم مع ظاهر العقل البشرى حلا يقربها الى ذلك العقل .. حتى يستطيع الانسان أن يواجه هؤلاء المضلين بالحجة البالغة التى هى من عطاء الله للنفس البشرية .. فالله سبحانه وتعالى كان لطيفا فى علمه .. لطيفا بعباده .. فأعطاهم أمثلة تقرب الى عقولهم ما يعجزون عن فهمه .. مثلا يقول أحد الذين يضلون عن سبيل الله .. ويحاولون ايجاد تصادم وهمى بين كلام الله .. والعقل البشرى .. كيف يكون هناك من هو موجود بلا حيّز ولا مكان ولا زمان .. وأنا أقول إن الله سبحانه وتعالى بسط هذه المسألة .. وجعلها فى أنفسنا لتقرب منا الصورة وتجعلها موجودة أمام العقل البشرى بشكل قريب .

والسؤال الذى أطرحه هنا هو عن الانسان .. عن نفسك .. أنت

تتساءل عما هو موجود بلا حيز ولا مكان ولا زمان .. وأنا أسألك عن روحك .. أين هى هذه الروح التى تجعل كل جسدك يعمل وينطق ويرى ويعيش .. هل هى فى قلبك الذى ينبض بلا توقف ما دامت الروح فيك .. أم هى فى عينيك تجعلهما يبصران فتريان الأشيياء .. أم هى في أذنيك تجعلهما تسمعان .. أم هى في صدرك تجعله يتنفس .. أم هى فى معدتك تجعلها تقوم بوظيفتها لتغذية جسمك .. أم هى فى اليدين تجعلهما تتحركان وتفعلان ما تريد .. وتبطشان بمن تريد .. ام هى فى قدميك تمشى بهما وتجرى كلما شئت .. ام هى فى امعائك تجعلها توصل الطعام للدم .. أم هى فى عقلك تجعله يفكر ويحسب .. ويدبر لك شئون حياتك .. ام هى فى دمك تجعله ينبض ويجرى فى عروقك ليعطيك الحياة .. اين مكانها بالضبط ..**هل تستطيع أن تحدده .**

قد ترد بعض الناس ليقولوا إنها فى عقلك .. فهو الذى تتصرف به ويعطى الاشارات لكل شئ ليتحرك .. ولكن هذا مردود عليه بأن فى الجسم مئات من الأشياء غير الارادية التى تعمل دون ارادة الانسان .. فالقلب ينبض بلا اراده .. والدم يمشى فى العروق بلا ارادة .. والتنفس يتم بلا ارادة . والمعدة تعمل بلا ارادة .. الى آخر ما تستطيع ان نعدده فى الجسم البشرى .. اذن فهناك الروح وهى مخلوق لله سبحانه وتعالى .. وقد وضعها الله فى جسدك .. ورغم ذلك .. رغم ضيق المكان ..وتحديده فانك لا تستطيع ان تقول .. أين هى الروح على وجه الدقة .. ولا تستطيع ان تحدد مكانها لتقول هنا فى هذه النقطة توجد روحى .. فاذا أردنا ان نحدد الوزن نقول إن الجسد لا يفقد شيئا عند الموت ..الوزن واحد تماما .. ومع ذلك فان الروح تكون قد خرجت من الجسم .. ومن

هنا فانك لا تستطيع أن تحدد للروح مكانا ولا وزنا .. وهى مخلوق من مخلوقات الله سبحانه وتعالى .. فاذا أردت أن تحدد لها الزمان تحديدا علميا مطلقاً يعتمد على أبحاث المعمل دون هوى من النفس .. فانك لا تستطيع .. فانت لا تعرف إن كانت روحك موجودة قبل ولادتك ام لا .. ولا تعرف اين تذهب بعد الموت .. ولا تعرف عمرها حتى يوم القيامه ولا بعد يوم القيامه .. ولو ان الله لم يخبرنا بأمرها قبل ميلاد الانسان وبعد وفاة الانسان لعجزنا عن أن نعرف ذلك تماما .. بل انك لا تعرف كم تلبث الروح فى جسدك رغم كل ما يحاول العلم أن يحدده .. فالانسان قد يموت فجأة من مرض أو صدمة أو حادث لا يمكن ان يتنبأ به أحد .. ولا تدرى نفس متى وقت الموت .. ولا يمكن أن تدرى مهما بلغ التقدم من العلم .. ولا يمكن أن تدرى بأى ارض تموت .. اذن الزمان هنا غير موجود .. والمكان غير موجود .. والوزن أو الشئ المادى غير موجود .. هذا فى خلق من خلق الله .. **فما بالك بالله** سبحانه وتعالى ..

على أننا بعد ذلك اذا انتقلنا الى نقطة ثانية .. وهى الموت والحياة .. نجد ان الله سبحانه وتعالى قد اعطانا من الموت شيئا يقربنا من الخلق .. فان الموت نقض للحياة .. ونقض الشئ يأتى على عكس بنائه .. فانت حين تبنى عمارة تبدأ بالدور الأول أو الاساس .. وحين تهدمها تبدأ بالدور الاخير .. وانت حين تذهب الى الاسكندرية مثلا وتنزل فى محطة سيدى جابر .. فانك حين تريد العودة الى القاهرة تبدأ من محطة سيدى جابر .. إذن الموت نقض للحياة **أول** ما يخرج من الجسد هو الروح .. وبذلك تكون آخر شيء قد دخل فيه .. ثم يتَصَلَّب الجسم الى حمأ مسنون .. ثم يتحلل الى طين لازب .. ثم الى تراب .. وهذه الأطوار هى العكس المقابل لأطوار الخلق .. كما ذكرها القرآن الكريم .

على أن الله سبحانه وتعالى حينما يريد أن يعطينا .. يعطينا قضية عامة .. فإذا رأيت فيها شيئا يقف فيه عقلك .. لأنه يخالف ما تعتاد وتألف فضعها تحت عنوان سبحان الله .. وليس كمثله شيء .

ونفسر هذه العبارة قليلا .. اذا قلت إن فلانا قد ضرب فلانا بكل قوته . هل تعنى نفس الشيء .. الجواب أبدا .. لا يكون الشيء معنى الا إذا نسب لفاعله .. ووضعت فيه قدرات هذا الفاعل .. بمعنى اننى إذا قلت إن طفلا صغيرا عمره أشهر ضربنى بكل قوته .. وقلت إن بطل العالم فى الملاكمة ضربنى بكل قوته .. فهناك فرق كبير بين المعنيين .. الأول ضربه لا يؤثر فى .. ولا أحس به .. والثانى ضربه قد يقتلنى .. مع أن الاثنين قد استخدما كل قوتهما التى وهبها الله لهما فى عملية الضرب .. ولكن الفعل هنا يتناسب مع القوة .. فالطفل الصغير لا أكاد أحس بضربه .. وبطل العالم يستطيع أن يحطم ضلوعى بسهولة .. هذا فى قدرة البشر المحدودة .. هذا فى قوة المخلوقات .. فما بالك بالله سبحانه وتعالى .. الخالق ..

وإذا أخذنا هذا المثل .. ووضعنا الله سبحانه وتعالى تحت عبارة سبحان الله .. وليس كمثله شيء .. استطعنا أن نقرب كثيرا من المعانى التى قد يستغلها البعض لإضلال البشر .. لله سبحانه وتعالى قوة .. ولى قوة .. ولكن هل قوتى مثل قوة الله سبحانه وتعالى .. لله سبحانه وتعالى علم .. ولى علم .. ولكن هل علمى مثل علم الله سبحانه وتعالى .. والله حى .. وأنت موصوف بالحياة .. فلا تقول إن حياتك مثل حياة الله سبحانه وتعالى .. وجود الله سبحانه وتعالى ليس كوجودك .. وعلمه ليس كعلمك .. وقدرته ليست كقدرتك .. ومن هنا يخرج وجه المقارنة

حيث إنّه لا مقارنة .. فالله بقدراته وقواته يأتى تحت وصف سبحان الله وليس كمثله شيء .. ومن هنا فإننى لا يجب أن أنسب الى نفسى بالمدلول البشرى ما يقوله الله سبحانه وتعالى عن ذاته .. فعندما أتصور قوة الله لا أقارنها بقوتى .. ولكنى أقول سبحان الله .. وليس كمثله شيء وعندما أتصور انتقام الله لا أقارنه بانتقامى .. وانما أضعه تحت عبارة سبحان الله .. وليس كمثله شيء ..

ومن هنا نجد أننا اذا تذكرنا « سبحان الله .. وليس كمثله شيء » .. يمكن أن نصل الى مدلول أشياء كثيرة .. فأنت مثلا لا تستطيع أن تتصوّر الا ما تراه .. وعندما يخبرك الله سبحانه وتعالى عن أشياء لا تراها تضعها تحت عنوان سبحان الله وليس كمثله شيء .. لأنه شتان بين رؤيتك ورؤية الله سبحانه وتعالى .. مثلا سبحان الله الذى أسرى بعبده .. من الذى أسرى .. الله سبحانه وتعالى .. أسرى بنبيه الى المسجد الأقصى .. لا تأتى لى فى هذه الحالة بقوانين الزمان .. وقوانين المكان التى تنطبق عليك أنت .. والتى تستطيع أن تراها وتتصورها .. ثم تحاول أن تطبقها على فعل من أفعال الله ..لماذا ؟ .. لأن الله ليس كمثله شئ ومن هنا فإن هذه القوانين التى تحكمك لا تحكمه . والزمان والمكان اللذان تخضع لهما لا وجود لكليهما عند الله سبحانه وتعالى .. لأنه ليس كمثله شئ .. الذى أسرى بمحمد ﷺ هنا هو الله سبحانه وتعالى .. ولذلك حين قال بعض الصحابة أ يستطيع محمد أن يذهب إلى بيت المقدس .. ويصعد إلى السماء .. ويعود فى ليلة واحدة نقول إن محمدا عليه الصلاة والسلام لم يدع ذلك .. وإنما أسرى به .. والذى أسرى به هو الله سبحانه وتعالى .. والله ليس كمثله شئ ومن هنا فإن قوانين الزمان والمكان .. وقوانين الدنيا كلها .. والقوة والقدرة إلى آخر كل ما يتصوره البشر

لا ينطبق على الاسراء .. لأن الله هو الفاعل .. واللهليس كمثله شئ واذا كان كل شئ يأتى باالتشابه .. فإن الذى يأتى من الله سبحانه وتعالى ليس كمثله شئ .. ولذلك عندما نقول سبحان الله وليس كمثله شئ .. فإننا نعلو به سبحانه علوا كبيرا عن كل شئ يأتى با لتشابه .. إذن كل ما نطق به الله سبحانه وتعالى خذه على أنه له .. أما عن كيفيته فلا حد يستطيع أن يصل إليه .. لماذا ؟ .. لأنه ليس كمثله شئ ..

الغيب والملائكـه

« عندما يحدثنا الله سبحانه وتعالى عن معجزة من المعجزات التى يؤيد بها أنبياءه أو .. عن عالم الجن أو الملائكة الذى لا نراه .. يجب ان نعرف انها حقائق .. لماذا ؟ لأن ما هو فوق قدرة العقل موجود .. وما هو فوق قدرة السمع موجود .. وما هو فوق قدرة البصر موجود ... » .

الذى أسرى هو الله سبحانه وتعالى .. ومن هنا فان قوانين الزمان والمكان .. وقوانين الدنيا كلها .. والقوة والقدرة لا تنطبق على الاسراء .. لأن الله هو الفاعل .. واذا كان كل شئ بالتشابه فان الذى يأتى من الله سبحانه وتعالى ليس كمثله .. بل هو يعلو علوا كبيرا عن كل شئ يأتى بالتشابه .

ومن هنا عندما يحدثنا اللهسبحانه وتعالى عن معجزة من المعجزات التى يؤيد بها أنبيائه .. أو عن عالم الملائكه والجن الذى لا نراه .. فنحن نعرف أن هذه حقائق لأن الله سبحانه وتعالى قادر وقدرته لا تقارن بالدنيا

كلها .. وعلمه لا يصل الى ذرة من ذراته .. علم البشر جميعا .. فهو يخلق ما نرى .. **ويخلق ما لا نراه الآن وقد نراه فى المستقبل .**

ولكن الله سبحانه وتعالى كما قلت لطيف بعباده .. ومن هنا فانه يضع فى الكون آيات تقرب الى العقل البشرى .. ذلك الذى يعجز عنه هذا العقل وتجعله قريبا من تصوره .. وهو بذلك يريد أن يدخل الاطمئنان الى قلوبنا .. وان يعطينا الايمان واليقين بحيث نستطيع أن نجابه المضلين .. وان ترد عليهم .. والانسان المؤمن دائما فى قلبه سكينة .. وفى قلبه امل .. ذلك أنه مؤمن بقدرة الله التى هى بلا حدود .. ويؤمن بأن الله الذى كتب على نفسه نصر المؤمنين .. وكتب على نفسه إنجاء المؤمنين .. وكتب على نفسه ان يدافع عن الذين آمنوا .. تلك القدره الهائلة .. قادرة على حمايته .. وعلى دفع الضر عنه .. ولو كانت اسباب الدنيا كلها ضده ..

ولكن كما يجادل بعض الناس فى الروح يأتى واحد منهم ويقول ما هذا الكلام عن عالم الجن والملائكة .. أنا لا أصدق الا ما أراه .. ويجادل الى آخر هذا الكلام .. فاذا قلت له هل شهدت الخلق .. هل شهدت خلق الجن والملائكة .. يرد عليك وأنت أيضا لم تشهده .. وهنا نرد عليه بأن الله سبحانه وتعالى قد وضع لنا فى هذا الكون الدليل على أن ما فوق قدرة العقل .. وما فوق قدرة البصر .. وما فوق قدرة السمع .. موجود فى هذا العالم .. منذ خلق الأرض ومن عليها .. وكل هذا يخرج من علم القادر وهو الله سبحانه وتعالى الى علم غير القادر وهو الانسان .. أيدل على أن ما هو فوق القدرة البشرية .. موجود ولكننا لا نعقله .. ولا نسمعه .. ولا نراه .. ولنناقش هذه المسائل الثلاث .

ما هو فوق قدرة العقل موجود منذ الأزل .. وان كان قد أصبح فى

قدرة العقل خلال السنوات الأخيرة مثلا .. أن يطير الانسان فى الهواء .. بطائرة كانت فوق قدرة العقل فى الماضى .. بحيث إنك اذا قلت منذ مائة سنة مثلا .. انك ركبت طائرة وطرت بها فى الهواء لا تهمك الناس بالجنون أو بالكفر .. ولقتلوك .. ولو قلت إنك تحدثت فى آخر الدنيا فسمعك ملايين البشر فى وقت واحد .. لو قلت هذا منذ مائة سنة فقط لما صدقك أحد .. ذلك أن هذا كان فوق قدرة العقل البشرى .. ولكنك الآن تذهب إلى أى مطار فتركب الطائرة وتطير فى الهواء .. وتتحدث فى الاذاعة فتسمعك الدنيا من أقصاها إلى أقصاها .. كيف حدث ذلك .. هل إخترع الانسان غلافا جويا جديدا للأرض يمكنه من الطيران .. هل دار حول الدنيا ليضع موجات الأثير .. لا .. لا هذا . ولا ذاك طبعا .. إنما الغلاف الجوى كما هو منذ خلق الأرض ومن عليها .. وموجات الأثير كما خلقها الله سبحانه وتعالى منذ بداية الكون .. ولكن الذى حدث أن الله أدخل الانتفاع بهذه الأشياء مما هو فوق قدرة العقل البشرى إلى علم البشر .. أى أن هذه الأشياء خرجت من علم القادر إلى علم غير القادر بكلمة كن .. فاستطاع الانسان أن يطير فى الفضاء .. وأن يتحدث فتسمعه الدنيا كلها إلى آخر ما حققه وسيحققه العلم بقدرة الله .. وهذا دليل قاطع على أن ما فوق قدرة العقل البشرى موجود .. وأن العقل البشرى ليس هو الحد الأعلى للعلم والمعرفة فى هذه الأرض .. وأنه كلما تقدم الزمن أعطى الله سبحانه وتعالى علما كان فوق قدرة البشر أعطاه للقدرات البشرية حتى يستطيع الانسان أن يصل اليه .. وحتى يؤمن الانسان أن ما فوق قدرة العقل موجود .. وحقيقة واقعة .. وأن يكون يجهلها .

هذا بالنسبة للعقل .. أما بالنسبة لما هو فوق قدرة الأذن فذلك

شيء نعرفه كل يوم .. اذا جلست أنت فى حجرة مغلقة ليس فيها أى صوت وسألتك أنا هل يوجد صوت فى هذه الحجرة .. تقول لى أنا لا أسمع شيئا .. وكونى لا أسمع شيئا .. فانه لا يوجد صوت فى هذه الحجرة .. فاذا « أدرت الراديو » سمعت مئات الأصوات من جميع أنحاء الدنيا .. من أين جاءت هذه الأصوات .. هذه الأصوات تسبح فى جو الحجرة .. ولكنك لا تستطيع أن تسمعها بالأذن المجردة لأنها فوق قدرة الأذن .. فاذا أتيت بآلة استطاعت أن تجعل هذه الأصوات فى قدرة الأذن .. كان فى امكانك أن تسمعها وتميزها .. اذن **فهذه** الأصوات موجودة .. ولكنك لا تستطيع أن تسمعها الا اذا أتيت بآلة تجعل أذنك قادرة على أن تستمع اليها .. وربما فى المستقبل تكون هناك اختراعات أخرى بما هو فى علم الله .. ولم يصل الى العلم البشرى بعد .. تستطيع أن تجعلك تسمع أصواتا لا نسمعها الآن .. ولا ندرى عنها شيئا .. بل اننى أريد أن أزيد على هذه التجربة لمحة صغيرة .. اذا أتيت **بالراديو** الترانزستور ووضعت سماعة الأذن الصغيرة فى أذنك .. وجلسنا نحن الاثنان معا بجوار بعضنا البعض .. وسألتنى هل أسمع شيئا سأقول لا .. هل يوجد صوت هنا سأقول لا .. بينما أنت جالس إلى جوارى والسماعة فى أذنك تسمع الدنيا كلها .. كما تشاء وأنا بجانبك لا أسمع شيئا .. ما معنى هذا .. معناه أن الجهاز الذى تستخدمه قد جعل الأصوات التى تسبح فى الحجرة .. التقطها وجعلها فى مقدرة أذنك .. بينما أنا جالس الى جوارك .. وفى نفس المكان .. ولكن هذه الأصوات فوق قدرة سمعى .. هل معنى ذلك أن الأصوات التى تسمعها أنت بسماعة الراديو غير موجودة .. لأننى لا أسمعها .. مستحيل .. ولكن معناه أن هذه الأصوات التى تسمعها أنت وحدك .. والتى هى فوق قدرة أذنى موجودة .. ولكنى

غير قادر على سماعها .. لأننى لا استخدم الراديو الذى تستخدمه أنت ليجعلك قادرا على السمع .. نكون بذلك قد وصلنا الى أن ما هو فوق قدرة العقل موجود .. وما هو فوق قدرة السمع موجود .

ثم نأتى الى ما هو فوق قدرة البصر .. أنت تقول أنا لا أرى العوالم الأخرى التى يتحدث عنها الله .. ومن هنا فهى غير موجودة .. وأنا آتى لك بنقطة ماء من الترعة .. وأقول لك هل ترى فى هذا الماء شيئا .. ستقول لا .. وعندما أضع الماء تحت الميكروسكوب .. تظهر فيه مئات الجراثيم الدقيقة الحية التى تتحرك بشكل عجيب .. أقول لك أنظر فى الميكروسكوب .. سترى هذه الجراثيم .. بل إن الانسان المريض حينما تأخذ نقطة من دمه فانك لا ترى فيها شيئا .. فاذا وضعتها تحت الميكروسكوب .. أو وضعت عليها سائلا معينا تكتشف جراثيم وأشياء عجيبة .. أين كانت هذه الأشياء .. كانت فوق قدرة بصرك .. فعندما استعنت بآلة مكبرة .. جعلتها فى قدرة البصر ليصبح من الممكن رؤيتها .. ولكن هل عدم رؤيتك لهذه الجراثيم معناه أنها غير موجودة .. أو أن هذه الجراثيم لم تكن موجودة قبل اختراع الميكرسكوب .. كانت موجودة .. قطعا .. ولكنها كانت فوق قدرة البصر .. وجاء اختراع الميكروسكوب ليدخلها من فوق قدرة البصر الى القدرة البشرية .. ولكنها كانت موجودة رغم أنك لا تراها ..

واذا جلست فى حجرة بها تليفزيون .. هذه الحجرة ليس فيها صورة .. فاذا فتحت التليفزيون أصبحت الحجرة فيها صورة .. بل ورأيت وأنت جالس أمامك انسانا يمشى فوق القمر .. هل فى قدرة البصر أن يرى انسانا يمشى فوق القمر .. الجواب نعم .. اذا استخدمت امكانيات الله

فى الكون .. ولقد استخدم العلم امكانيات الله فى الكون فى نقل الصورة من مكان الى آخر .. فالعلم لم يخترع طبقات الجو التى تنقل الصورة .. ولا يستطيع أن يخترعها .. بل اكتشفها بكلمة كن .. والله هو القادر الذى كان فى علمه كل هذا .. وأخرجه الى علم غير القادر .. وهو الانسان . لماذا ؟ ليعلم الانسان علم اليقين .. أن ما هو فوق قدرة عقله موجود .. وان ما هو فوق قدرة سمعه موجود .. وان ما هو فوق قدرة بصره موجود .. حتى اذا حدثه الله سبحانه وتعالى عن قضية غيبية هى فوق قدرة العقل .. أو السمع .. أو البصر .. عرف يقينا أنها موجودة .. **وأنّ ما يقوله الله سبحانه وتعالى حق ..**

اذن ما هو فوق قدرة الانسان موجود فعلا .. وموجود بفرق شاسع جدا .. هو الفرق بين قدرة المخلوق والخالق .. والله سبحانه وتعالى أراد أن لا تكون هذه القضية الايمانية .. وهى قضية الغيب ألا تكون مادة للمضلين ليضلوا بها الناس .. ويبعدوهم عن طريق الله .. فجعل العقل البشرى نفسه ينتقل بقدرة الله مما هو مستحيل عقليا ومما هو ممكن .. ليثبت أن ما فوق قدرة العقل موجود .. وجعل العقل يستطيع بقدرة الله أن ينتقل مما هو فوق قدراته العادية .. وجعل الغير يستطيع أن يرى ما لم يكن يحلم بأنه سيراه .. وكان الله سبحانه وتعالى يستطيع أن يعطى كل هذا العلم للعقل البشرى فى اللحظة الأولى التى خلقه فيها .. ولكنه لم يرد ذلك حتى يكون العطاء للانسان عطاء فيه اثبات لقدرة الله .. وفيه اثبات لوجود الغيب .. وفيه اثبات لما هو فوق القدرات البشرية .. وأن يكون العطاء متجددا لكل جيل .. وعطاء الله لا ينتهى ولا ينضب أبدا ..

ولكن هناك بعض القضايا التى يثيرها المضلون .. مثل قضية تغيير

القبلة مثلا .. يقولون أن الله سبحانه وتعالى يقول « ولله المشرق والمغرب » .. ويقول « فأينما تولوا فثم وجه الله » .. ومن هنا فإننى حين أتجه الى أى مكان فهناك الله سبحانه وتعالى .. ثم ان الاتجاه الى المسجد الأقصى أو الاتجاه الى المسجد الحرام ليس فيهما زيادة تكليف .. أو زيادة فى الطاعة .. الله سبحانه وتعالى قد يفرض شيئا لزيادة طاعته .. أو زيادة فى الايمان به .. ولكن الاتجاه الى المشرق مثل الاتجاه الى المغرب لا يكلف المؤمن شيئا أن يتجه الى هنا أو هناك .. فلماذا تغيرت القبلة ؟

الله سبحانه وتعالى يقول « و لله المشرق والمغرب » . ويقول « فأينما تولوا فثم وجه الله » مع ذلك فهو يأمرنا أن نتجه الى البيت الحرام فى صلاتنا .. وإذا كان الله سبحانه موجودا فى كل مكان وزمان وإذا التوجه الى المشرق والتوجه الى المغرب لا يكلف المؤمن شيئا .. فهو يتجه الى الشرق .. أو الى الغرب .. أو الى الشمال .. أو الى الجنوب .. هذا لا يضيف عليه أعباء جديدة أو يحمله جهدا إضافيا .. بل هو نفس الجهد .. فلماذا تغيرت القبلة ؟..

وأنا أقول ان فى هذه الآية اعجازا .. ولنذكر الآية الكريمة « سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها » .. وأنا أريد هنا أن أنبه إلى شيء هام هو استخدام لفظ السين في القرآن .. ولفظ السين لا يستخدم الا لشئ مستقبلى .. أى سيحدث فى المستقبل .. لا يمكن أن أقول سيفعل فلان كذا .. ويكون هذا الشخص قد قام بالفعل الذى اعنيه .. بل لابد أنه لم يقم به .. وانما ينوى القيام به أو حدد الوقت للقيام به .. المهم أنه لن يتم .. ولكنه قادم ..

يأتى الله سبحانه وتعالى ويقول فى كتابه العزيز لنبيه الكريم

« سيقول السفهاء » .. ومعنى سيقولون أنهم لم يقولوا بعد .. ولكنهم بعد تغيير القبلة .. وهؤلاء الذين سيقولون ليسوا بالمؤمنين .. فالمؤمن يتبع تعاليم الله وقوانينه .. ولكن الذين سيقولون هم أعداء الدين الذين يحاولون التشكيك فيه وصرف الناس عنه .. واذاعة الاباطيل حوله .. يأتى هنا الله سبحانه تعالى ويعلن « سيقول السفهاء» يعنى أن الله سبحانه وتعالى يصف هؤلاء الناس قبل أن يقولوا بأنهم سفهاء .. ولو أن الذين أثاروا تغيير القبلة من أعداء الاسلام .. كان عندهم ذرة من التفكير .. ونزلت هذه الآية الكريمة لابتعدوا تماما عن السؤال .. ولما سألوا لماذا تغيرت القبلة .. وكانوا حينئذ يملكون سلاحا أقوى لهدم هذا الدين .. حيث انهم كانوا سيقولون إن محمدا ﷺ قد قال فى كلام يقول انه كان موحى به من الله .. ومنزلا إليه من السماء .. إن السفهاء أعداء هذا الدين سيسألون لماذا تغيرت القبلة .. ونحن نقول ان تغيير القبلة شيء ايمانى لا يهمنا وأنه اذا اتجه المسلمون الى المشرق .. أو الى المغرب .. فليس هذا دلالة على صحة دينهم أو بطلانه .. ولذلك فاننا لم نسأل عن هذا الأمر بالذات .. لأنه لا يمس جوهر الدين .. ولكن محمدا قال اننا سنسأل .. ووصفنا بالسفهاء .. وهكذا لم يسأل أحد عن تغيير القبلة .. ولم يحاول أحد أن ينال من الدين الاسلامى فى أمر تغيير القبلة حتى نعرف جميعا أن ما يقوله محمد ليس موحى اليه من السماء .. ولكنه كلام منه ..

ولكن الله سبحانه وتعالى أراد أن يضع إعجازا فى هذه النقطة . والاعجاز هنا أن الله تحدى الكفار فى أمر اختيارى يمكن أن يفعلوه .. ويمكن ألا يفعلوه .. وزاد على ذلك بوصفهم بلفظ منفر وهو السفهاء .. فلو أنهم ابتعدوا عن هذه النقطة ولم يسألوا ما ولى المسلمين عن قبلتهم التى كانوا عليها لكانوا بذلك قد هاجموا الدين فى نقطة ايمانية كبرى .. وهى

أن الله هو القائل .. ولذلك يجب أن يكون ما يقوله صدقا .. والقرآن كلام متعبد بتلاوته .. لا تبديل فيه .. ولا تغيير الى يوم القيامة . أى أن محمدا لا يمكن ولا يستطيع لا هو ولا أحد فى الدنيا كلها أن يغيره .. أو يبدل حرفا منه .. ومن هنا فلو أن السفهاء لم يسألوا عن سبب تغيير القبلة . وتجنبوا هذا تماما .. لكانوا بذلك قد طعنوا القرآن .. وطعنوا الدين كله .. ولكن الله قائل القرآن .. يأتى على يد خصوم القرآن .. وخصوم محمد بما يثبت الرسالة .. ويؤكد صدقها .. فيقول سبحانه وتعالى « سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها » .. ويقول ذلك قبل أن ينطقوا بحرف واحد .. ويأتى فعلا هؤلاء السفهاء ويسألون ما ولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها .. فيشهدون بذلك على صدق القرآن .. ليس فى أمر يأتى به قائل القرآن .. ولا فى أمر يأتى به من أنزل عليه القرآن وهو محمد عليه السلام .. ولكن فى أمر يأتى على يد خصوم القرآن الذين يريدون أن يهدموه .. وأن يشككوا الناس فيه ..

والله نسأل أن يهدينا جميعا صراطه المستقيم .

